روايات غادة

ماتيلدا سالمون

حبي الذي يموت

www.elromancia.com
مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

غادة

حبي الذي يموت

ماتيلدا سالمون

رسالة مصيرية كتبتها ناتالي شالسي البالغة من العمر سبعة عشر عاماً لم تصل الى المرسل اليه وكان هذا السبب الذي دفعها للرحيل عن بلدة طفولتها وحياتها والغرق في خضم حياة جديدة بعيدة ومتوحدة هي وفلذة كبدها الذي يريد الجميع منها التخلص منه وإجهاضه وهو بعد جنين.

لكن ابنها هذا كان ابن حب حياتها والذي لم تتوقف عن حبها له ولا للحظة واحدة طوال سنوات رحيلها والتي امتدت لثمانية أعوام كاملة. لكن روبرت ستابلتون عاد ووجدها الآن ووجد ابنه الذي هو صورة مصغرة عنه، فهل سيتركها تتابع حياتها التي نجحت ببنائها بعيداً عن آشلي وأهلها؟ هل ستصدق هي أن روبرت لم يستلم رسالتها تلك وأنه لم يكن يعرف شيئاً عن جنينه الذي كان ينمو بأحشائها؟؟!.

- ١ -

القطار المتهادي على سكته الحديدية كان يسير بتواتر رتيب يتناغم مع أفكار ناتالي التي أخذت تشعر بالتعب والإرهاق من جراء الرحلة الطويلة هذه. تنفست الصعداء حين وصل القطار أخيراً إلى «آشلي» محطته الأخيرة وتناولت ناتالي حقيبتها الصغيرة من الرف المخصص للحقائب. لم تكن واثقة تماماً لماذا أتت أو حتى ما هو شعورها اتجاه عمتها التي ربتها مذ كانت ناتالي في السنة الأولى من عمرها وبعد مصرع والدتها بحادث سير مروع.

الاتصال الذي قامت به إلى «قصر النجمة»، حيث

يقطن آل ستابلتون. حيث تعمل عمتها كمدبرة منزل، كان مختصراً ومباشراً. ولحسن الحظ من رد على اتصالها كان شخصاً غريباً تماماً عرف عن نفسه بإسم طوني باركر رئيس الخدم.

حالما أعلنت ناتالي عن هويتها كان طوني باركر أكثر من متحمس لإعطائها المعلومات التي تريد.

عمتها كما عرفت كانت في المستشفى في قسم العناية الفائقة.

«إنها مصابة بنوبة قلبية» أبلغها طوني باركر بلهجة آشلي المميزة التي أثارة الحنين العميق داخل ناتالي وتابع:

«هي تنادي بإسمك طوال الوقت، سابرين المسكينة و... حسناً، أعتقد أنه من الأفضل لو يشرح لك السيد روبرت كل شيء. إذا انتظرت على الخط لدقيقة واحدة فقط فسوف أناديه و...»

«كلا» قاطعته ناتالي فوراً ومجرد فكرة تحدثها مع روبرت عبر أسلاك الهاتف كادت ان تصيبها بالغثيان:

«ليس من الضروري إزعاج ـ السيد ستابلتون» قالت بسرعة معطية طوني تفاصيل وصولها قبل أن تتيح له الفرصة للإصرار على تكلمها مع روبرت ستابلتون.

«وهكذا فسأصل إلى المستشفى في الساعة الرابعة

ظهراً» أنهت ناتالي حديثها بسرعة واعادت السماعة إلى مكانها وهي ترتعش بأكملها.

زيارتها لعمتها التي هي بمثابة أم ثانية لها هو شيء ـ تعتبره مجرد واجب عليها! لكن ضرورة تحدثها مع الرجل الذي كان السبب المباشر لتركها لآشلي ولمنزلها ولعائلتها قبل ثمانية سنوات أثار الإنقباض داخل امعاءها وجعلها تشعر بالألم. أرادت تأجيل الرحلة إلى وقت آخر لكن إدراكها لرداءة الطقس ولإمكانية احتجازها في آشلي في حال أخرت موعد الزيارة هذه لوقت آخر جعلها تقرر الذهاب على الفور.

«سأتصل بك فور وصولي إلى الفندق» وعدت إبنها جيمي إبن الثمانية أعوام والذي هو كل حياتها وهي تعانقه بحب وتقبله للمرة الأخيرة قبل إنطلاقها بالرحلة إلى آشلي.

ظل جيمي و صديقتها أماليا يلوحان لها من المحطة حتى غاب القطار تماماً عن عيونهما.

لكن صورة جيمي ظلت مرسومة بعقلها بعد أن إبتعدت عن المحطة بمسافات. بجسده الطويل ووجهه المستدير وعيونه الرمادية الفاتحة وشعره الأسود الناعم والذي يشبه تماماً وجه وملامح روبرت ستابلتون والذي تتذكره من سنوات مما أرسل قشعريرة ألم داخلها لما حدث فيما مضى بينهما. أعلن المنادي مغادرة القطار

فشدت ناتالي معطفها حول جسدها الرشيق وزررته بأصابع مرتعشة وأخذت نفساً عميقاً وألقت بنظرة سريعة على نفسها بمرآة الحمام. وجهها البرونزي المستدير كان ساحر التقاطيع بعيونها العسلية الواسعة ذات الرموش البنية الكثيفة، وأنفها الرقيق وشفاهها الممتلئة. الغمازة على وجنتها كانت تزيد من جاذبيتها. شعرها البني الناعم والكثيف كان ينسدل حتى منتصف ظهرها وكانت ترفعه فوق رأسها بكعكة أنيقة.

نزلت من القطار بخفة كباقي المسافرين المتحمسين للوصول إلى وجهتهم وكان الرجال يركزون نظراتهم عليها وحين تقابلهم بالجمود والبرود الذي اعتادت عليه منذ سنوات كانوا يتابعوا تقدمهم. رغم رقتها ورشاقتها والأنوثة الطاغية التي تنبع منها إلا أن قوة شخصيتها كانت واضحة وظاهرة.

على كل حال، رؤية الرجل الواقف على المحطة لها أظهرت السكون والذهول على ملامحه الجذابة ـ لأن لا شيء بكل خيالاته طوال السنوات الثمانية الماضية حضرة لتحول ناتالي إلى كل هذا السحر والأنوثة والجاذبية، لطالما تساءل عن كيفية نضوج جمالها وسحرها ـ الا أن أجمل تصوراته لم تكن بمثل ما يراه الآن.

تصلب فكه وزم شفتيه وهو يراقبها وهي تنزل من

القطار وتقترب رويداً رويداً منه وخطواتها الرشيقة تتناغم مع ضربات قلبه التي أخذت تتسارع لانها كانت تصيب وتراً حساساً بأعماق قلبه.

لم تكن تراه ورموشها الكثيفة تغطي عيونها العسلية وهي تنظر أمامها وكل شيء كان هناك، الجاذبية الحسية بمشيتها الرشيقة التي يعرفها جيداً. شكل وجهها الجذاب، شعرها أللامع المرفوع بأناقة والذي لم يسبق له وشاهد ناتالي القديمة بهذا الشكل، لكنه كان كالسابق بحاجة لحركة صغيرة واحدة لينسدل على أكتافها كالشلال.

أجل، فكر بمرارة. الجمال والسحر قد أخذا التحديد النهائي عندها بشكل يتجاوز أقصى تخيلاته ويلمس مشاعر قديمة اعتقد انها جفت وماتت منذ سنوات.

هذه كانت ناتالي بعد سنوات ثمانية.

وصلت إلى بوابة الخروج وامتدت يدها لتشير إلى سائق التاكسي بالتوقف فسارع بالإقتراب منها قاطعاً عليها الطريق.

«مرحباً ناتالي» حياها بهدوء.

تجمدت ناتالي لسماعها لصوته ينطق بتلك الطريقة العميقة وبذلك الصوت المحفور رغماً عنها بأعماقها. شيء ما تحرك بداخلها وحرك رماد مشاعر خبت نارها

منذ سنوات ورفعت عيونها لتلتقي بعيونه.

للحظة لم يكن بإمكانها التحرك أو النطق وعيونها تظهر ذهولها الكامل لرؤيتها له هنا. بدا بارداً ومتباعداً لكن محروساً برقة وهو يقف هنا أمامها ويحدق بها بعيونه الرمادية الواسعة وكل ما إستطاعت أن تفكر به هو قولها بسرها يا الهي! إنه نسخة ثانية من جيمي! شبيه تماماً بإبنه!.

- ٢ -

سنوات المرارة الطويلة تحولت إلى غصة إحتقار في حلقها. ثمانية سنوات، فكرت وبالكاد بدا هو متأثراً بمرور السنوات. جسده كان لا يزال رياضياً صلباً، شعره الأسود الناعم لا يزال بنفس الشكل واللون. كان لا يزال يرفع رأسه بنفس الطريقة المتعالية. لا يزال يملك تلك الخاصية الرجولية المسيطرة والتي تزيد من إثارته وجاذبيته.

وحتى الآن، ورغم كل ما إختبرته بين ذراعيه الغير مهتمتين فقد شعرت بموج العاطفة يشدها إليه. وجهه كان لا يزال على حاله، بكل خطواته القوية الجذابة -

www.elromancia.com

لكن الصلابة الجديدة كانت هناك ومعها النضج الكامل الذي كونته سنوات ثمانية.

«مرحباً روبرت» تمكنت أخيراً من القول مضيفة ببرود:

«لم أتوقع وجود أحد بإنتظاري هنا».

التوى فمه بإبتسامة صغيرة قبل أن يعود إلى حاله الطبيعي ويقول:

«حين يعود السخي، ناتالي، فمن المعتاد فرش السجاد الأحمر له».

«وأنت تعتبر نفسك السجادة؟» ردت ببرود.

زادت حدة عيونه الرمادية ولحسن حظها لربما مر أحد معارف روبرت من قربهم وحياه للحظات قبل أن يتابع طريقه. لحظات كانت كافية لإعادة السيطرة على أعصابه.

قال ببرود:

«هيا أعطني هذه الحقيبة» وقبل أن تتمكن من الاحتجاج تناول روبرت الحقيبة من جانبها وقال:

«سيارتي في الموقف العام وهي على مسافة قصيرة من هنا».

سار أمامها دون أن يلتفت إلى الوراء.

راقبته ناتالي وهو يبتعد بعيون ثابتة لا ترمش. كلا، قالت بنفسها هو لم يتغير مقدار شعرة طوال السنوات.

لا زال نفس الرجل المتكبر المتعالي. يتدخل، يستلم زمام الأمور كأنه أرستقراطي متملك جاء لإصطحاب طفلة مشردة.

كان قد وصل إلى موقف السيارات حين غادرت هي بوابة المحطة، وكان يشق طريقه عبر صفوف السيارات بثقة وأنها ستتبعه كالكلب الوديع مما أثار غيظها وحنقها... لا، تلك النظرة الأخيرة التي رماها بها قبل أن يستدير ويتجه إلى موقف السيارات أخبرتها أن العداء الهائل الذي تشعر به نحوه لا يقل حجماً عن العداء الذي يشعر هو نحوها به.

إنطلقت خلفه وكعب حذاءها يطرق الأرض المرصوفة بصوت رتيب. وحين وصلت إليه وجدت أنه قد وضع حقيبتها في المقعد الخلفي وفتح لها الباب الأمامي بجانب السائق.

إقتربت من السيارة بحركة تحدي وهي تخبره بصمت أنه لا يحق له معاملتها بهذه الطريقة، كأنها... كأنها قطعة اثاث غير مرغوب بها لكنها ضرورية! هي لم تطلب منه لقاءها على المحطة! هي لم تطلب منه أي شيء - أبداً!.

توقفت قرب الباب وأخذت تتنشق هواء الشتاء البارد الرطب بإستمتاع. اعتقدت أنها قد نسيت رائحة وطعمة هذا الهواء، لكنها لم تفعل فلفحة الهواء المنعشة كانت

www.elromancia.com

ذاتها وكذلك كمية الروائح المشبعة برائحة الأرض.

« سجمدين حتى الموت إذا بقيت تتنشقين الهواء البارد لأكثر من هذا» قاطع صوته استمتاعها فتمتمت:

«آسفة» ورمته بنظرة باردة متجاهلة بتعمد للنبرة المنتقدة بصوته. هذه كانت زيارتها الأولى لموطنها منذ ثماني سنوات. لقد رحلت بعيداً عن هذا المكان بسببه هو، وظلت بعيدة بسببه هو إذا اعتقد أنه سيفسد عليها لمحة السعادة الأولى هذه فهو سيكون مخطئاً تماماً...

دخلت السيارة وشدت المعطف حول ساقيها وإبتسمت برقة لنفسها حين أغلق هو الباب وإستدار ليأخذ مكانه خلف المقود.

«كيف هي أم... عمتي؟» سألته بإهتمام.

إنطلق روبرت بالسيارة وقال:

«إعتقدت أنك لن تسألي أبداً».

«المسألة كانت مسألة إعطائي الفرصة للسؤال» أشارت وهي ترميه بنظرة باردة. حتى بروفيله (نصف وجهه) كان يوحي بالثراء، بالإمتياز وبالتحضر والوسامة.

«إنها لا تزال تعاند القضاء». أعلمها بإختصار.

«أخبرني ما الذي حدث؟» سألت وهي تحدق بالزجاج أمامها حتى تتحاشى النظر اليه. كان يسكن

أفكارها بقوة، مبعداً إياها عن الأفكار الواجب عليها التفكير بها.

«لم تكن حالتها بخير منذ أشهر طويلة» أخبرها وعيونه مركزة على الطريق امامه:

«وكنا مهتمين بمحاولة التخفيف عنها وتحسين حالتها. لكنك تتذكرين على ما أظن كيف هي طبيعتها...» ابتسامة صغيرة وحادة ظهرت على وجهه:

«ظلت تصر أنها كانت بأتم صحة وعافية، صحيحة تماماً لمتابعة عملها والقيام به على أحسن وجه كما هي معتادة».

«بالطبع» تمتمت بسخرية.

آل ستابلتون كانوا دوماً بالمرتبة الاولى بالنسبة لعمتها. حتى قبل ابنة شقيقها اليتيمة الوحيدة...

«لأنها كانت تشعر أنها بهذه الطريقة تكون ذات فائدة» علق روبرت بحدة وهو يرميها بنظرة قاسية متابعاً:

«كان عندها القليل الآخر لتحيا من أجله، أليس كذلك؟»

«كلا» رد:

«لكنك عنيت ذلك مع ان الله وحده يعرف ما هو الحق الذي تملكينه ويسمح لك بالانتقاد فيما أنت قد نسيت تماماً أن لك عمة، هي بمثابة أم ثانية لك، لمدة

www.elromancia.com

ثماني سنوات كاملة».

هذا صحيح، فكرت وهي تتجاهل هذه النقطة. لقد نسيت ذلك للضرورة وللضرورة فقط. كانت هذه هي طريقتها الوحيدة للبقاء والصمود خلال سنوات التعاسة الأولى التي مرت بها بعد مغادرتها «لآشلي».

«لقد عانت من جلطة قلبية صغيرة» تابع روبرت بعد فترة صمت متوتر:

«لم يكن هذا أمراً خطيراً لكنها كانت تصعد السلالم حين أصابتها الجلطة فسقطت بالتالي عن الدرجات وكسرت ساقها. وهي تطالب برؤيتك منذ ذلك الحين بإصرار وبأس - فهي تريد إطلاعك على أمر ما - هذا ما تردده دوماً. ولهذا لم يكن أمامي من طريقة الاتصال بك سوى نشر ذلك الأعلان في الجرائد المحلية».

«أجل» ردت وهي تتذكر الاعلان الذي كان السبب بعودتها إلى هنا:

«رسالة مستعجلة للآنسة ناتالي شالسي من قرية آشلي والتي تركتها منذ ثمانية سنوات. عمتك بحالة صحية خطيرة نرجو الاتصال بهذا الرقم للضرورة القصوى».

«ومنذ... منذ متى وهي بهذه الحالة؟» سألته بقلق أخذ يتزايد داخلها.

«منذ شهرين ونصف تقريباً» قال:

«الجلطة القلبية منعت الأطباء من المعالجة السريعة

للساق المكسورة وهكذا فقد استغرقت معالجتها فترة أطول».

«هل تعرف عمتي بمجيئي؟» سألته بصوت مبحوح. عمتها دون شك بحالة نفسية متردية من جراء عجزها الحالي! فلطالما كانت تكره العجز وعدم الحركة وشعور عدم الإفادة كان يقتلها. لطالما كانت قوية، صحيحة الجسم وقادرة! عمتها لم يسبق لها وان أصيبت حتى بالزكام.

«كلا» أجابها روبرت:

«وجدت أنه من الأفضل عدم دفعها لبناء الآمال. فقد خشيت من تغييرك لرأيك باللحظة الاخيرة وامتناعك عن المجيء وتكبد العناء».

«لا داعي لإستعمال السخرية روبرت» قالت بجفاف:

«أعرف تماماً مما تعتقده عني دون حاجتك للسخرية لتوضيح ذلك».

«ومن الواضح من لهجتك أنك لا تكترثين لذلك».

«هذا صحيح» ردت بوضوح:

«انت على حق تماماً، انا لا اكترث مطلقاً لذلك. لقد حجزت غرفة لي في فندق الرايتز» قالت مغيرة الموضوع:

«... لكني أفضل التوجه مباشرة إلى المستشفى أولاً اذا لم يكن عندك مانعاً».

www.elromancia.com

«لا ابداً» تمتم:

«لكنك لن تنزلي بالفندق. ستعودين إلى القصر معي».

«مستحيل» قالت بشهقة ومجرد الفكرة ترعبها. بوجود سامنتا هناك؟ بوجود والدته ووالده؟.

«كلا روبرت هذا مستحيل» أصرت بشدة:

«أفضل البقاء في الفندق. إنه أقرب إلى المستشفى ولا نية لدي بأن أكون مصدر عدم ملائمة لك لأكثر من هذا».

«لطالما كنت مصدر عدم ملائمة لي ناتالي» علق بنبرة غريبة:

«لقد قررت منذ سنوات أن تكون ناتالي شالسي، الأمر الغير ملائم الأساسي في حياتي».

- ٣ -

ابتسمت دون أن تتمكن من منع نفسها من ذلك لطالما كان مرحه وتلاعبه بالكلام مصدر ضحكاتها.

«حسناً، لقد كان عندك فترة إستراحة لثماني سنوات كاملة!» علقت بجفاف.

«ومن قال هذا؟» رد بتحدي وتكهرب الجو داخل السيارة. النبرة الحادة بكلماته والطريقة التي نظر بها إليها أخبرتها أنه كان جدياً مئة بالمئة.

أهو ضميره؟ تساءلت، وابتسمت بمرارة لنفسها وهي تبعد نظرها عنه. هي لا تزال تذكر الطريقة القاسية التي طردتها بها والدته من القصر وهي تنقل لها رسالة

www.elromancia.com

روبرت الفظة القاسية والتي أحلتها من وعوده ومزقت أعماق ناتالي.

«ها قد وصلنا» قال.

«جيد» قالت ببرود هائل جعله يدير وجهه اليها بدهشة:

«اذا لم يكن عندك مانعاً فسأدخل بمفردي» تابعت ونزلت من السيارة دون ان تلتفت نحوه.

دخلت المستشفى وانبعثت إلى أنفها رائحة الدواء المطهر وأخذت تشاهد الممرضات بأثوابهم البيضاء وقبعاتهم الصغيرة وهم يروحون ويجيئون بممرات المستشفى البيضاء.

توجهت إلى طاولة الإستعلامات وإبتسمت للموظفة التي كانت خلف الطاولة.

«قسم العناية الفائقة لو سمحت» سألتها ناتالي بإبتسام.

«سيرافقك آندرو إلى هناك آنسة...»

«شالسي ـ ناتالي شالسي» ردت ناتالي.

«أجل آنسة شالسي تفضلي الاذن بالدخول. هل انت قريبة لإحدى المرضى هناك؟»

«أجل... عمتي سابرين شالسي هناك».

«تفضلي آنسة» قالت الموظفة وناولتها الإذن بالدخول. سارت مع المدعو آندرو إلى المصعد ومنه

إلى ممرات طويلة كانت مشاعر ناتالي تتزايد بداخلها وهي تقترب أكثر فأكثر من مكان عمتها. مشاعر المرارة، الامتعاض المنبعثة من كبرياء أراد الالتصاق بالقواعد والأصول التي تركت آشلي لأجلها. بالإضافة لذلك فقد كان قلقها على عمتها يزداد. أشار لها آندرو إلى المكان وتركها وتابعت هي خطواتها مدركة أن روبرت كما يبدو قد عمل بكلماتها ولم يلحق بها.

تصلبت أسنانها وهي تخطو داخل قاعة العناية الفائقة حيث الصمت قاتل.

كان هناك طاولة إستعلام أخرى امامها وخلفها تجلس ممرضة. أجبرت نفسها على التقدم نحوها وهي تخطو بخفة وصمت.

ثم فجأة أخذت نبضات قلبها تتسارع والممرضة ترافقها إلى الغرفة وتجمدت ناتالي حين شاهدت خلف واجهة الزجاج الضخمة الجسد الصغير النحيل الذي كان مستلقياً بين الوسائد البيضاء وآلة جهاز المصل متصل بالساعد المعروق. الوجه كان كثير التجاعيد والعيون مغمضة والفم متصلب وكأن الحياة تسحب من الجسد المتهالك دارت الدنيا بها ولم تعد ترى بوضوح أمامها.

«ناتالي» جاءها الصوت المألوف العميق قبل أن تغيب عن الوعي بلحظات واحست بذراعين قويين يحملانها ورأت بتشوش عيونه الرمادية تحدق بها بقلق ثم لم تعد

www.elromancia.com

تشعر بشيء.

عادت للوعي بعد وقت ووجدت نفسها ممددة على سرير ابيض اللون. روبرت كان يجلس بجانبها ويديه يمسكان بيدها.

«كانت هذه صدمة لها» كان يقول للممرضة الواقفة قربها وتقيس نبضها:

«لقد اكتشفت للتو ان عمتها التي ربتها منذ الطفولة شديدة المرض فسارعت بالمجيء إلى هنا بأقصى سرعة. دخولها إلى الجو الدافيء هنا بعد البرودة القارسة في الخارج قد أصابها بالغثيان دون شك».

«أنا... أنا فقط لم أتوقع أن تكون حالتها بهذا السوء» همست ناتالي بإرهاق جاعلة عيون روبرت الواسعة تتركز عليها. بدا مرهقاً وشاحباً.

«أردت أن أحذرك، لكنك اندفعت بسرعة» قال بهدوء.

«عمتك نائمة الآن آنسة شالسي» قالت الممرضة بصوتها الرقيق:

«ولهذا فأمامك الوقت الكافي للاستراحة حتى يحين موعد استيقاظها. سأذهب واصنع لك القهوة ـ كيف تحبينها؟» عرضت الممرضة بإبتسام.

«ثقيلة وحلوة» رد روبرت ورمته بنظرة دهشة لأنه لا يزال يذكر كيف تحب قهوتها.

تحركت الممرضة بصمت مغادرة الغرفة وأغمضت عيونها بألم لذكرى ما شاهدته منذ بعض الوقت وهمست:

«تبدو طاعنة بالسن روبرت... طا... طاعنة وعجو...».

«وماذا كنت تتوقعين بعد مرور ثماني سنوات؟» رد بحدة والغضب يلون نبرته ورماها بنظرة باردة قبل أن يتابع:

«إنها هنا بسببك أنت ناتالي، هي هنا لانك تركتها ورحلت دون أي كلمة وانت تعرفين أن لا أحد لها بهذا العالم غيرك وغيرنا! ولهذا فلا تتوقعي مني أن أشعر بالتعاطف معك لأن القدر قد أوقعك بشباكه اخيراً».

نهض من مكانه وعيونه تزداد حدة وهو يحدق بها متابعاً:

«الوقت الوحيد الذي شعرت به انها فعلاً حية وتنبض بالحياة خلال السنوات الثمانية الماضية كان حين كانت تغرق نفسها بالعمل لدينا».

«لكن هذه كانت حالتها دوماً» ردة بحدة وهي تصلح من جلستها وتشعر بالدوار لذلك:

«مثلك وعائلتك كانت تأتي دوماً بالمرتبة الاولى لديها ـ ولا تحاول أن تنكر ذلك روبرت لأنك تعرف جيداً وأكثر من غيرك أن هذه هي الحقيقة».

الصمت المتوتر عاد ليطبق على الجو فلا الوقت ولا الزمان كانا مناسبين لهذه المجادلة. أبقت ناتالي وجهها مركزاً على الأرض ونهض روبرت بتصلب من جانبها وأخذ يخطو داخل الغرفة بصمت.

«تفضلي الشاي» جاءها صوت الممرضة الرقيق مجدداً والذي بدا كنسمة الهواء المنعشة وسط القيظ:

«هذا سيجعلك تشعرين بتحسن». وناولتها الكوب الحار:

«خذي وقتك باحتساء الشاي وستكون عمتك قد إستيقظت بهذا الوقت».

«هي... ليست في غيبوبة أليس كذلك؟» سألت ناتالي بخوف وإضطراب.

«كلا والحمد لله» ردت الممرضة وهي تطمئنها بإبتسام:

«إنها فقط نائمة. ونأمل ان الأسوأ قد مر. ساقها يتحسن والحمد لله قد زالت عنها نهائياً كل ما تحتاجه الآن، حتى تتحسن حالتها تماماً، هو رؤيتها لك. كانت شديدة الخوف والرهبة - من ان تسوء حالتها قبل ان تراك...».

سمعوا صوت جرس إستدعاء فاستأذنت الممرضة وتركت الغرفة متجهة الى الغرفة التي إنبعث منها صوت الجرس.

نظرت ناتالى الى روبرت المتجهم الملامح وسألته:

«روبرت لماذا لم تحاول الاتصال بي حين كانت عمتي بأسوأ أحوالها الصحية؟»

لم ينظر اليها بل مشى نحو النافذة وأخذ ينظر إلى الخارج ويديه في جيوب بنطاله البيج و سترته الصوفية المشجرة تظهر صلابة وعرض صدره وكتفيه.

قال بعد فترة صمت:

«بصراحة لم يخطر ذلك ببالي مطلقاً. كنت قد رحلت منذ ثمانية أعوام دون أن تبعثي لنا بمجرد كلمة تخبرنا إذا كنت على قيد الحياة أو... لا. وتوصلت منذ فترة طويلة إلى الاستنتاج القائل انك لا تكترثين لأمر مطلق شخص في هذه القرية».

ما يقوله كان صحيحاً، إعترفت بصدق لنفسها هي لم تكن تكترث سواء أبقيوا على قيد الحياة أم لا.

لكنها تكترث وتهتم كثيراً الآن، ادركت ذلك وعيونها تتجه إلى صوب غرفة عمتها وشعور هائل بالقلق والتوتر يعتصر امعائها.

«فقط حين بدأت سابرين تسأل عنك ادركت أنها لم تتخلى يوماً عن أمل رؤيتك ثانية - يا لها من حمقاء مسكينة» رماها بواحدة من نظراته الباردة القاسية المريرة وتابع:

«يقولون أنه لا يوجد أي شيء أعظم وأكبر من حب

الوالدة».

أخفت ناتالي عيونها برموشها الكثيفة وهي تفكر بالصبي الاسود الشعر الذي تركته برفقة صديقتها بعيداً عن هنا وتمتمت:

«وما هو رأيك بعظمة ومدى حب الوالد؟»

الحيرة الكاملة ظهرت على وجه روبرت من جراء سؤالها هذا ومن المرارة العميقة التي لونت صوتها وهي تنطق بهذا السؤال. قطب جبينه للحظات ثم قال:

«والدك كان رجلاً متباعداً وهادئاً أجل، لكن حتى أنت ناتالي لا تستطيعي الإدعاء أنه لم يكن يحبك وأنه لم يرعاك بحنان حتى وفاته وأنت بسن الثالثة عشر!»

- ٤ -

إبتسمت لسؤ فهمه الكامل لمعنى كلماتها ونهضت بإرتعاش وقالت:

«أنا مستعدة الآن لرؤية عمتي»

تردد روبرت وهو ينظر اليها بدهشة. لكن لاحظ قناع التباعد الذي وضعته على وجهها وهز رأسه بغموض وأمسك بذراعها بقوة ولم تحاول هي التخلص من قبضته لأنها كانت بحاجة لهذا الدعم في هذه اللحظة بالذات.

«إنها شديدة الضعف» حذرها بصوت خافت وهو يدخل واياها غرفة عمتها:

www.elromancia.com

«وأخشى أن الجلطة قد اصابت نصف وجهها بشبه شلل. هي تتفوه بالكثير من الكلمات والتعابير وإذا استطعت سيكون من الأفضل لو تتظاهري بفهم كل ما تقوله دون ان تلجأي لطرح الأسئلة المستفسرة، لأن هذا سيتسبب بإقلاقها وإزعاجها».

طأطأت برأسها متفهمة والغصة تكاد تدفع بالدموع إلى عينيها لرؤيتها مجدداً لجسد عمتها الصغير بين الوسائد والشراشف البيضاء. عمتها كانت لا تزال نائمة وشعرها البني الذي كانت تذكره ناتالي جيداً قد تحول الآن إلى هالة بيضاء تحيط بالوجه النحيل الصغير. والدوائر الزرقاء كانت تحيط بالعيون الرمادية التي كانت فيما مضى تنبض بالحيوية والاشعاع.

ابتعدت عن ذراع روبرت وإقتربت من السرير والدموع التي تشكلت داخل عيونها تمنعها من الرؤية بوضوح.

«عمتي!!» همست بصوت مبحوح وهي تمسك اليد لمعروقة بدفء.

تحركت الرموش وانشقت عن العيون الرمادية الغائرة التي التمعت بعدم تصديق حين ميزت بعد لحظات هوية المنادي.

«نانا...؟» همست عمتها بعدم تصديق وإمتدت اليد الاخرى لتتحسس بإرتعاش وجه ناتالي:

«آه ناتالي... هل هذا أنت حقاً؟».

الدموع إندفعت على الوجه النحيل وتحركت العيون الغائرة نحو جهة روبرت وهمست سابرين:

«لقد وجدتها. لقد وجدت نانا لي».

«أجل سابرين» أجابها برقة وإقترب ممسداً الوجه النحيل بحنان:

«لقد وجدتها».

«نانا...» وفتشت سابرين عن ناتالي والجوع داخل عيونها لرؤية ناتالي اعتصر قلب الاخيرة:

«آه، روبرت، أنظر لكم هي رائعة الجمال ـ ساحرة العيون...» وإمتدت يدها مجدداً إلى وجه ناتالي فأمسكت ناتالي بيد عمتها وشدت عليها بلهفة كأنها تريد أن تعوض عن الحرمان الذي عانته بعدم رؤيتها لها طوال سنوات ثمانية.

«لا زلت تمتلكين هذا الشعر العسلي الرائع... وهذه البشرة الساحرة...» وتنقلت العيون عليها فيما ناتالي لا تزال تستوعب مدى التدهور الذي تعرضت له صحة عمتها التي تابعت بصوتها الهامس المتعب:

«انت لا تبتسمين... كنت دائمة الابتسام ـ دوماً وطوال الوقت ـ مهما كان ما...» ذبلت الكلمات وماتت وعادت الدموع الغزيرة لتغسل وجهها مجدداً.

«لا تبكي» توسلت ناتالي بحرارة والدموع تهدد

بالإندفاع مجدداً من عيونها هي وأخذت تداعب وجه عمتها بحب.

«لم أعتقد أنك ستأتين» قالت عمتها من بين دموعها:

«لم أعتقد أنني سأراك مجدداً ابداً».

«حسناً، أنا هنا الآن» طمأنتها ناتالي:

«والآن كل ما عليك أن تفعليه هو الإهتمام بصحتك والعودة إلى حالتك الطبيعية».

«أجل» قالت عمتها بتنهد وجسدها يتراخى وهي تعيد رأسها إلى الوسائد وتغلق عيونها لحظات وانتظم تنفسها وهمس صوتها قائلاً:

«نانا... لا ترحلي، لا تذهبي بعيداً هلا فعلت؟».

«عندي الكثير... الكثير لأقوله لك... هناك مطالب... بدون إعتراضات... الحياة ثمينة جداً... كنت أخشى...»

«هش» هدأتها ناتالي بهمس وهي تشعر بالقلق لعدم تسلسل ما تفوه به عمتها وتابعت:

«توقفي عن القلق بهذا الشأن عمتي. لقد إنتهى كل شيء الآن».

ذراع روبرت التي لامست كتف ناتالي أكدت لها ما كانت تراه ـ لقد إستغرقت عمتها بالنوم مجدداً وإنتهت الزيارة الاولى هذه.

«دعيها تستريح الآن ناتالي» نصحها روبرت برقة:

«هي لا تستطيع التحدث سوى لخمس دقائق فقط في كل زيارة. سنأتي لرؤيتها مجدداً غداً».

«روبرت...؟» همس صوت عمتها وجعلهما يحدقان مجدداً بالسرير.

«أجل، أنا هنا سابرين» أجابها برقة مقترباً منها.

إبتسامة صغيرة لامست وجه العجوز وقالت:

«إعتني بنانا من أجلي حتى أغادر هذا المكان... إعتني بها كما كنت معتاداً دوماً...»

شيء قاسي اعتصر قلب ناتالي ونهضت من مكانها بعصبية وهي تبعد يده عن كتفها وقد عادت المرارة القديمة لتتحرك داخلها وقالت:

«أستطيع الإعتناء بنفسي جيداً، عمتي! لقد أصبحت ناضجة الآن أتذكرين؟»

«أجل» قال روبرت وهو يرمي ناتالي بنظرة تحذير:

«ستبقى ناتالي في قصري سابرين، فلا داعي لك للشعور بالقلق عليها ابداً».

«احضرها لي مجدداً غداً» همس الصوت الخفيف.

«أجل سأفعل» قال بإبتسام.

ووجدت ناتالي نفسها تمتعض من نظرة الحب والشكر التي ظهرت داخل عيون عمتها. طوال فترة حياتها هنا لا تذكر ناتالي ان عمتها قد رمتها بمثل تلك

www.elromancia.com

النظرة. لكنها تذكرت ان عمتها كانت دوماً ضعيفة إتجاه لطف روبرت وجاذبيته. وكذلك كانت هي بالنسبة لك، قال صوت صغير داخل عقلها متذكرة كل الحب والحنان الذي احاطتها عمتها به والتي كانت كأم ثانية حقيقية لها.

«شكراً لك» تمتم روبرت وهو يسير قربها.

«على ماذا؟» سألته بنظرة امتعاض:

«انها عمتي أنا. وأعتقد أنه من الواجب علي انا أن أشكرك لتحمل عناء إيصالي إلى هنا».

«حسناً، من الجيد أنك قد لاحظت ذلك» رد ببرود.

شدت ناتالي خطواتها سابقة إياه بالخروج من المصعد ورد قاسي يتلاعب على شفتها. حقيقة انها كانت ترعى بحب وإهتمام إبنه طوال الثماني سنوات الماضية كان شيئاً ترغب هي بإخباره عنه.

«ناتالي...» قال ويده تمسك بذراعها فانتفضت بشدة وابتعدت عنه.

«لا تلمسني» قالت بقوة. وتراجع هو خطوة إلى الوراء من عمق الكره والنفور الذي رآه داخل عيونها اللامعة فيما هي تفكر بجيمي وحرمانه من حب الوالد وكل ما يتبع ذلك حين يكون روبرت ستابلتون بالذات هو ذلك الوالد وتابعت:

«فقط ـ لا ـ لا تلمسني» رددت مجدداً وهي ترتعش

من شدة المرارة التي اجتاحتها والتي لم تتمكن من إخفائها.

نزلا السلالم مغادرين المستشفى بصمت. لسعة البرودة كانت كبيرة في الخارج وقد ساعد ناتالي هذا على تهدأت أعصابها والتخلص من بعض النار التي كانت تشعر بها داخلها. توقفت وأخذت نفساً عميقاً فيما روبرت يراقبها بدقة قبل أن يستدير ويقول:

«سأحضر السيارة. إنتظري هنا».

إنتظرت، كالكلب المطيع إنتظرت والهواء القارس يلسع بشرتها وأذنيها دون أن تشعر حتى بذلك. لحظات وظهرت سيارته وإنحنى ليفتح لها الباب فدخلت وجلست بصمت وبصمت ثبت هو حزام الامان حولها قبل ان ينطلق بالسيارة مجدداً.

«أحتاج للإتصال بالهاتف» قالت فجأة متذكرة وعدها لجيمي ومدركة أنه سيبدأ بالشعور بالقلق عليها.

«تستطيعين إستعمال الهاتف الموجود في القصر» قال روبرت:

«إنه يبعد ربع ساعة فقط من هنا».

«لا اريد البقاء في القصر» ذكرته بعناد:

«إذا رفضت أن تدعني أنزل بالفندق فسأستعمل حينها غرفتي بمنزلنا القديم».

«اخشى أنك لا تستطيعين فعل هذا أيضاً» قال وثقته

بكلماته تحرك الإنزعاج داخلها:

«منزلكم أصبح مهجوراً منذ فترة تتجاوز الستة أشهر. وبوجود عمتك بالمستشفى فقد إستغلينا الفرصة واعادة تجديد المكان. إنه محتشد بالأشياء والصناديق الآن».

«اذن سأنزل بفندق الرايتز» أصرت.

«ستنزلين بالقصر وتوقفي عن المجادلة» قال بحدة وغضب مما جعلها ترتعش. رماها بنظرة كره باردة وتابع:

- ٥ -

«عمتك تتوقع هذا وسأبدو بمظهر بالغ السوء اذا لم أحقق لها رغبتها هذه ولهذا فتوقفي عن الجدال وحاولي على الأقل تقبل العرض بإمتنان».

«تقصد بعدم إهتمام متبادل اليس كذلك؟» قالت باحتقار:

«إبنة مدبرة المنزل الوضيعة تعرض امتنانها وشكرها بن ستابلتون العظيم».

«هذا لم يكن حتى مضحكاً ناتالي» رد عليها بجفاف:

«وهذا يعتبر إهانة للطريقة التي تربيت بها معنا اتالي. لاني لا اذكر ولا للحظة واحدة أنه قد سبق لك

www.elromancia.com

وشعرت بأنك أقل رتبة مني أو من عائلتي من قبل أي شخص داخل القصر».

«وكيف حال والديك؟ ووالدتك بالذات؟» سألته وتفاجأت حين أبعد نظره عن الطريق امامه وحدق بها.

«ألم تعرفي؟» سألها بدهشة حقيقية ثم اضاف بجفاف:

«بالطبع لن تعرفي وكيف لك ذلك وأنت قد قطعت كل صلة لك بآشلي واهلها منذ سنوات؟» اعاد نظره إلى الطريق امامه وقال:

«توفيت والدتي منذ خمسة سنوات ووالدي أصبح شبه مقعد ونصف مشلول وهو لا يغادر جناحه الخاص بالقصر منذ وفاة والدتي».

«انا ـ انا آسفة» قالت بتصلب وادركت أن روبرت شعر بتصلبها هذا بسبب القسوة التي ظهرت على خطوط وجهه وتابعت:

«اذن فقد اصبحت انت إمبراطور آل ستابلتون لا؟» لفظت الكلمات بطريقة توضح لها شعورها نحوه ونحو كل ما يمثله.

كلماتها تركت الصمت المكهرب يسيطر بينهما حتى لحظة وصولهما إلى ساحة القصر. وكانت ناتالي مرتاحة لهذا الصمت، فهي لا ترغب بفتح أي خط من خطوط الإتصال مع روبرت ستابلتون مهما كانت مرارة هذا

الخط وقساوته. كان هو شبحاً من ماضيها، شبحاً ترفض هي بكل قواها ان يسكن حاضرها. ولهذا فقد ركزت إنتباهها على ما تراه في الخارج عبر نافذة السيارة طوال بقية الرحلة.

بعد ثماني سنوات، ثماني سنوات قضتهم بعيداً عن قرية ولادتها وطفولتها ترعرعها ومراهقتها. بعيداً عن كل شيء بهذا المكان. لكن يبدو أن شيئاً لم يتغير بهذا المكان، شيئاً لم يتغير سوى هي نفسها.

إرتعشت والسيارة تشق طريقها عبر الطرقات والأشجار وتذكرت آخر صيف قضته هنا بين هذه الربوع. والذي قضته بتقلبها بين ذراعي روبرت المحب والعاشق.

هي لا تزال تذكر الألم والغيرة التي كانت تشعر بها وهي تراقبه من نافذة غرفة نومها وهو يغادر بوابة القصر بكامل زينته وملابسه بطريقه لقضاء زيارة رسمية أو اخرى.

«سأذهب مكان والدي» كان يقول دون ان يلاحظ كم كانت كلماته هذه تحفر ألماً عميقاً داخلها لإدراكها أنها غير مقبولة لتظهر برفقته.

بهذه المناسبات كان يصطحب معه كارولين الجميلة. كارولين كانت أكثر من مقبولة ومناسبة للظهور برفقته. فهي كانت كارولين بوشيه سليلة العائلة الثرية

والارستقراطية الثانية في آشلي. والتي يتوقع الجميع زواجها من روبرت ستابلتون في يوم من الأيام.

هل جاء ذلك اليوم فعلاً وتحقق خلال السنوات الثمانية الماضية؟ تساءلت ناتالي. هي لم تسأله هذا السؤال مبعدة شبح الفتاة الاخرى عن خيالها وهي تركز على مرض عمتها ومعاناتها. شعرت فجأة بالجليد يعتريها ونقلت بصرها إلى يد روبرت الموجودة على المقود باصابعه الطويلة الصلبة والتي تعرف هي ملمسهما جيداً.

ارتعشت ورأت أنه لا يرتدي خاتم زواج بيده اليسرى. لكن هذا لا يعني الكثير. فلطالما إحتقر روبرت الحلي والمجوهرات.

حتى الساعة التي يرتديها والتي هي بالغة القيمة الا ان حزام الساعة كان مصنوعاً من الجلد الفاخر وليس من الذهب.

كل شجاعتها الموجهة اتجهت نحو كارولين التي أصبحت الآن دون شك السيدة ستابلتون صاحبة القصر.

إنتبهت من أفكارها على صوت روبرت الذي فتح لها باب السيارة يقول:

«تفضلي ناتالي إلى قصر النجمة».

نزلت ناتالي وتبعته بصمت وكم هائل من المشاعر ينتابها لدخولها مجدداً الى هذا المكان.

باب الخشب الضخم الذي فتحه روبرت كان على حاله وكما تتذكره تماماً وحين دخلت وجدت ان كل شيء كان تماماً بمكانه. حتى الرائحة المميزة للخشب الابنوسي الذي تتكون منه كل أبواب القصر كانت لا تزال هناك. وقفت ناتالي قليلا ممتصة الصمت وكتفيها متراخيين تحت معطفها الثقيل وقد تلاشى قليلا القناع المتماسك الذي كانت تتذرع به ليظهر خطوط التوتر والإرهاق العاطفي الذي كانت تخفيه.

ثم وببطء شدت جسدها ورفعت رقبتها وأخذت نفساً مطولاً كأنها كانت على وشك الغرق. برقت عيونها ولمعت مجدداً بالحياة للهفة تكلمها مع الشخص الذي تحيا من أجله.

الشخص الذي وهبته الحياة ووهبها هو بوجوده الحياة والحب.

«روبرت» قالت له:

«أريد أن أجري الإتصال الهاتفي»

«بالطبع» قال وهو يضع حقيبتها على الأرض ويرن جرس الخدم ثم سار إلى غرفة مكتبه وقال:

«الهاتف هنا» وفتح لها الباب.

تبعته متمتمة شكرها وهي تمر من جانبه إلى الداخل. مجدداً الغرفة كانت على حالها بالمكتب

الخشبي الضخم الذي يتوسطها وبالكرسي الجلدي الكبير الذي كان خلف المكتب. الجدران كانت عبارة عن رفوف خشبية بديكور رائع وتحوي كل أنواع الكتب والمجلدات العلمية. والمدفأة الضخمة على الجدار الثالث كانت مضاءة والنار بداخلها تهب النور والحرارة وهي تقترب منها بصمت وتسمع صوت الباب يغلق خلفها بهدوء وصوت خطوات روبرت تبتعد خارج الباب.

أدارت بصرها حول الغرفة وتنهدت بعمق قبل أن تتجه إلى جهاز الهاتف وتخلع المعطف السميك وتضعه على الكرسي بجانبها ثم تدير الرقم الذي تعرفه جيداً والذي سيصلها بأهم شخص في حياتها.

«مرحباً ماما» قال جيمي فوراً دون أن يعطيها حتى فرصة لقول «ألو» وابتسمت ناتالي للمرة الاولى بهذا النهار المرهق وتابع جيمي:

«لقد عرفت أنك أنت المتكلمة! لماذا استغرقت كل هذا الوقت للإتصال بي ماما؟»

«مرحباً حبيبي» قالت بحنانها المعتاد والإبتسامة الدافئة على وجهها تمحو كل آثار التوتر والقلق:

«الطقس هنا بالغ البرود، ولقد وصلت إلى جهاز الهاتف الآن بالضبط».

«كيف حالك؟ إشتقت إلي؟»

«ليس بعد» كذب جيمي بحب.

فهذه كانت لعبتهما الدائمة، ان يجيب جيمي بطريقة معاكسة لما يشعر به حقاً.

«جيد» قالت بضحك:

«لانني لم أشتاق لك بدوري بعد» وقهقهت مجدداً حين سمعت صوت ضحكات جيمي الحبيبة.

«آه - هل تصدقين هذا؟ سيصطحبني العم نيكولاس إلى حلبة سباق الشاحنات غداً! هو يقول أنه ماهر بنوع السباق هذا - وهذا ما علي أن أختبره بنفسي» قال جيمي بتلهف.

خلفها فتح روبرت باب غرفة المكتب واتكأ عليه. لكنها كانت مأخوذة تماماً بالمكالمة فلم تنتبه لدخول أي شخص إلى المكتب. وظهرها كان للباب فلم تراه أيضاً.

تابعت المكالمة قائلة:

«حسناً لكن إنتبه جيداً لنفسك يا حبيبي فلا أريد لعودة لأجدك ملقى على سرير ما بذراع مكسور او ساق مجبر».

«أجل، أجل واليوم سنذهب إلى مدينة الملاهي» تابع جيمي بحماس:

«ثم سنتناول البيتزا في مطعم لاساغي وهذا وفقاً لإقتراحي فأنت تعرفين تماماً مدى حب أماليا للبيتزا انها

www.elromancia.com

لا تطيق حرف الباء لانه كلمة بيتزا تبدأ به».

قهقهت ناتالي بصوتها الشجي المبحوح وتخيلت مدى تحمل أماليا لرائحة البيتزا ورؤيتها فقط لإرضاء جيمي الذي تحبه صديقتها وزوجها ويعتبرانه كابنهما جون تماماً.

«يا لما تفعله المرأة للرجل الذي تحب» قالت ناتالي بضحك.

«هل بإمكاني التأكد من أن الجميع يحبني؟» قال جيمي وقد عاد للعبته الذكية والحنان يلون صوته. يا له من فتى حساس، فكرت بألم وهي تفكر بكل طفولته وبراءته.

«حسناً، تستطيع أن تتأكد انني لا احبك فقط بل أعبدك» تمتمت بحنان ورقة مدركة أن هذا بالضبط ما يرغب جيمي بسماعه:

«أشعر وكأني اسير هنا بدون ذراعي الأيمن المشتاق أبداً لك».

«متى ستعودين ماما؟» سألها ما تتوقعه.

الرد كان صعباً وتغضن وجهها المبتسم مجدداً بالغيوم وهي تتذكر عمتها الموجودة في ذلك السرير بتلك المستشفى.

«لا أعرف بعد يا حبيبي» ردت بإعتذار. فقد إتفقت مع أماليا على التظاهر بأن على ناتالي السفر إلى لندن

لإحضار تشكيلة ملابس الشتاء الجديدة للموسم القادم لمحلهما الخاص بالملابس النسائية والولادية والذي يقع في احد أهم شوارع برودواي التجارية. أماليا كانت صديقة ناتالي وشريكتها وأكثر من شقيقة لها ساعدتها بانجاح المحل وتساعدها دوماً بالإهتمام الكامل بجيمي كلما إضطرت ناتالي للسفر من أجل المحل.

«لكن تأكد انني سأعلمك فور معرفتي لموعد عودتي» تابعت مطمئنة جيمي.

«جيد لانني اريد انتظارك في المحطة. يقول العم نيكولاس ان بإمكاننا ذلك مع أن أماليا قد تكون مشغولة بتحضير المحل للبضاعة الجديدة وتغيير الديكور الداخلي له كعادتها ببداية كل موسم».

«اعرف، فهذه هي الحالة كلما سافرت أنا» قالت بتعاطف مدركة مدى عمق صداقتها وحبها لأماليا:

«لكن انتبه أنت لنفسك جيداً حبيبي، وأعدك بالعودة سريعاً وحالما أستطيع».

«اتمنى لو كنت معك» تمتم:

«أنا أقلق كثيراً عليك كلما سافرت فأخاف مما قد يحدث لك او من اي سوء قد تتعرضين له».

«لن يحدث لي شيء جيمي» طمأنته بقوة وبحماية وهي تشعر بالخوف وعدم الأمان الذي ينمو بداخله كلما إبتعدت عنه وتابعت:

www.elromancia.com

«أنت كل حياتي وأنت تعرف ذلك. وأنا لن أسمح لأي شيء بالكون ان يبعدني عنك».

- ٦ -

رؤيتها المفاجئة لوالده تراءت أمام عيونها بعيونه الرمادية المهددة بجسده الصلب فارتعشت بقوة.

«إلى اللقاء الآن يا حياتي إنتبه لنفسك جيداً» قالت وحبها في صوتها.

«إلى اللقاء ماما انتبهي انت لنفسك ايضاً وعودي لي بسرعة».

«إنشاء الله» قالت واعادت السماعة إلى مكانها وتهدلت كتفاها مجدداً وطأطأت رأسها حتى لامس ذقنها صدرها وأخذت نفساً عميقاً لتمنع نفسها من البكاء فدائماً كان من أصعب الأمور عليها قطع المكالمة معه

www.elromancia.com
مصورية

وخاصة هذه المرة بالذات فمع إنها لم تفكر بالأمر بعد إلا انها كانت تعلم بأعماقها ان زيارتها لآشلي هذه مع كل ما رأته وكل ما ستراه ستحمل لها ولابنها التغيرات الكبيرة والمشاكل التي ستجر لمشاكل اخرى اكبر وأعمق!.

«زوجك؟» سألها الصوت البارد مستفسراً والذي وصل اليها من الخلف.

استدارت بسرعة لتجد روبرت متكئاً بظهره على حافة الباب وذراعيه متشابكان على صدره وتعابيره غامضة وهو يدرسها.

«كلا» قالت ورفعت رأسها بتحدي كانت معتادة على إظهاره له فيما مضى وحدقت بعيونه بعدم تقبل لطرحه عليها اسئلة لا يحق له طرحها.

بدا وكأنه يعتبر الفكرة ويحللها والسخرية الصغيرة داخل عيونه جعلتها تنكمش داخلياً وعيونه تتنقل عليها محاولة إختراق اسوار الدفاع والحماية التي بنتها بعناية حولها. ثم تنهد ودفع نفسه بعيداً عن الباب.

«اذا كنت تؤكدين لذلك... ذلك الشخص على الهاتف انك ستعودين اليه بعد أيام قليلة فأعتقد ان هذا كان تصرفاً طائشاً من قبلك».

تصلبت ناتالي:

«يجب علي العودة» أصرت:

«عندي إرتباطاتي الخاصة. مجيئي إلى هنا وفقاً للطلب المستعجل ولفترة قصيرة قد ضاعف مسؤوليات من سيسد مكاني في العمل. يجب علي العودة». كررت بتصميم.

«وعمتك؟» قال ورفع حاجبه بازدراء:

«ها قد رفعتها الآن إلى القمة وسترمين بها إلى أسفل الحضيض دون أن تكترثي للنتائج؟ الا تعتقدين انها تستحق القليل الأكثر منك. لقد كانت كأمك طوال سبعة عشر عاماً بحق السماء! وتستكثرين عليها بضعة أيام مترددة تقضينها برفقتها وهي بحالتها هذه؟»

«لست مترددة بذلك» قالت بتصلب ودفاع:

«الأمر فقط...» فتشت عن الكلمات المناسبة وتابعت:

«عندي حياتي الخاصة الآن روبرت... عندي مسؤوليات جمة علي تحملها والقيام بها. لقد أتيت إلى هنا فور قراءتي للاعلان في الجريدة - بالرغم من كل مسؤولياتي - وسأقدر لك إعطائي نفس الاعتبار ان علي العودة إلى منزلي للقيام بتلك المسؤوليات بأسرع وقت ممكن».

«هذه... هذه المسؤوليات الا تتضمن عمتك؟» سألها والازدراء يزداد بصوته:

«أخبريني ناتالي، لأني أشعر بالفضول حقاً لمعرفة

www.elromancia.com

ذلك...» مسحتها عيونه من رأسها حتى أخمص قدميها قبل أن تعود إلى عيونها ويتابع:

«... هل كائناً من كان يعتني بك ويؤمن لك نوع الرخاء الذي كنت تتوقعين مني تقديمه لك؟ ام هل جيوبه منتفخة أكثر من جيوبي؟ أنت بالتأكيد ترتدين الآن ثوباً ممهوراً بمقص أهم المصممين... ولهذا فعلي التخمين انك لم تعودي رخيصة ابداً».

شيء عنيف إشتعل داخلها وبرقت عيونها بشدة مما جعل عيونه تتوسع بتحدي للنظرة التي بدت داخل أعماق شرارت عيونها الخضراء وراقب قبضتيها وهما تتكوران بجانبها إستعداداً للكمه او صفعه لو كان أقرب قليلاً منها.

أخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول بكل البرود الذي استطاعته:

«ما أفعله بحياتي ومع من أقضيها أمر لا شأن لك به روبرت ستابلتون... ليس منذ اليوم الذي تركتني به وحدي هنا ولم تفكر به ولا لمرة واحدة بالسذاجة الغبية التي إستغليتها كل الصيف لإرضاء نزواتك ورغباتك الجسدية!»

«آه ليس فقط للإرضاء ناتالي» قال بتكاسل:

«كنت، وأنا واثق انك قد أدركت ذلك الآن، أكثر من مرضية فقط».

«ليساعدني الله روبرت» همست من بين أسنانها المصطكة:

«لكن تلميح آخر على سلوكي وسوف...»

«سوف تفعلين ماذا؟» تحداها وهي تفتش عن الكلمة المناسبة. ومد ذراعيه ليمسك بيدها المتكورة وشدها ليبخر المسافة التي كانت تفصل بينهما:

«ستضربينني؟» سألها بإغاظة عبر شفاهه المبتسمة بقسوة:

«تأكدي من انني سأرد لك الصاع صاعين ناتالي» حذرها:

«ستصرخين؟ من سيأتي لنجدتك غير الخدم؟ وصدقيني من سيأتي منهم سيتمتع بمشهد ضربي لك».

«أكرهك» هتفت من أعماق قلبها وموجة ازدرائه تخنقها:

«احتقر ما انت عليه وما تمثله. وإذا كانت كارولين لا تزال تملك وجهة نظرها التافهة تلك بالحياة فأنا متأكدة تماماً اذن أنكما تستحقان بعضكما البعض! فالزواج منك سيغذي نظريتها بإستمرار».

تصلب وبدأت ناتالي ترتعش داخلياً شعورها أنها قد تمادت فعلاً.

ثم سمعته يقول بصوت مخنوق:

«متزوج من كارولين؟ من أين بحق السماء أتتك

فكرة انني وكارولين متزوجان؟»

حدقت ناتالي به:

«أتقصد ـ أنكما لم تتزوجا؟»

عدم التصديق كان واضحاً بصوتها وضحك روبرت ضحكة قاسية قاطعة جعلتها تتأوه داخلياً.

«لا أحتاج إلى الزواج من كارولين لأحصل على ما أريده منها» قال بازدراء واحتقار:

«تماماً كما لم أحتاج للزواج منك لنفس الأسباب».

الازدراء الذي لون كلماتها وربط بينها وبين كارولين كان كالفتيل الذي أشعل بركان غضبها فشدت يدها من قبضته وقالت بهدوء:

«أنت كنت وستظل دائماً شخصاً دنيئاً وحقيراً روبرت ستابلتون»

إبتعدت عنه متجهة إلى باب الخروج وهي تتناول معطفها.

«إلى أين؟» سألها بحدة.

«للحصول على سيارة أجرة» ردت بحدة اكبر:

«أنا لن أبقى في هذا المكان للحظة اخرى بعد».

«لن تذهبي إلى أي مكان» قال بصوت كالزئير وقطع عليها الطريق بخطوتين اثنتين ممسكاً بها بذراعيه الصلبتين ومانعاً إياها من التحرك وادارها لمواجهته. بجسده الطويل الصلب الذي يفوقها بالطول كان يرسل

كل شرارات الجاذبية التي أخذت تطرق أعصابها ومشاعرها، وامتزج كل شيء، مشاعر الغضب المتبادلة بينهما، مشاعر العداوة الازدراء بالإضافة إلى تبادلهما للشتائم والإهانات مع إدراكها العميق لشيء آخر مختلف تماماً عن كل هذا وأنتج ذلك قشعريرة عميقة ارتعشت لها بكل رفض ونفور.

«أبعد يداك عني» أمرته بقوة:

«لا أتحمل لمسة يديك لي».

«لا بأس، اليس هذا بالغ السوء؟» قال وشدها إليه أكثر وشعرت بنار الغضب التي كانت تتأجج داخله:

«لأنه حان وقت العقاب الآن ناتالي، وسأقوم أنا بدوري الكامل بهذا الشأن».

هبط فمه على شفاهها بقسوة ووحشية مجتاحاً نفورها وبرودها وحين تعمقت قبلته شعرت بمشاعرها تتحرك بإدراك لحظي للاغواء القديم الذي كان مرة يوحدهما كشخص واحد بروح واحدة وجسد واحد.

وحين انتهت القبلة هذه كان وجهها ابيضاً كوجوه الموتى وكانت ترتعش واظافرها منغرزة بطرفي المكتب الذي كانت تتمسك به طوال فترة هجومه عليها.

«ناتالي...»

مهما كان ما رآه روبرت داخل عيونها وهي تنحني على المكتب وترتعش حتى أخمص قدميها وعيونها

www.elromancia.com

متوسعة وثابتة فقد اذهله ذلك وصعقه دون شك لان نبرة صوته وهو ينطق اسمها كانت غير ثابتة وغريبة تماماً على مسمعها.

إبتلعت ريقها الجاف وهي تشد نفسها من أعماق الغمامة السوداء التي اغرقتها بها قبلته المعاقبة تلك.

- ٧ -

لن يدرك روبرت ذلك. لكن غرائزها ومشاعرها كلها قد تجمدت وماتت من جراء استغلاله البشع والسيء لها قبل ثماني سنوات، وكانت تلك المرة الاولى والأخيرة التي قبلت بها بحياتها حتى الآن.

«بحق السماء» تمتم وعيونها الخضراء ترمش للحظة:

«لا تنظري إلي بهذه الطريقة ناتالي» قال وابتعد عنها وجسده متصلب من الغضب:

«ماذا اعتقدت أنني كنت سأفعل لك؟» عاد ليحدق بها وتابع:

«سأغتصبك؟».

www.elromancia.com

كلماته أعادت لها حواسها وإدراكها ورفعت أصابعها المتشنجة عن المكتب إلى فمها المتورم:

«يجب أن أغادر هذا المكان ـ لا أستطيع البقاء هنا مع...»

«كلا» هتف ومد يديه كأنه يريد أن يمسك بها ثانية الا إنه عاد وأنزلهما بغضب لرؤيته لتصلبها وتحولها إلى تمثال من الحجر وهي تحدق به بكل نفور العالم واحتقاره للهفوة التي حدثت منذ لحظات بينهما.

قال ثم نظر الى وجهها:

«... اذا كان هذا يساعد، فأنا أعتذر لـ... لفقدان السيطرة الذي حصل. هذا لن يحدث ثانية».

مع أنها لم تكن تنظر إلى وجهه الا أنها أحست بعمق وقوة كلماته:

«سبب مجيئي إلى هنا» تابع بهدوء اكبر:

«كان لاخبرك ان العشاء جاهز. لقد حضرته السيدة فالو وهي تضعه على المائدة».

«أريد الصعود إلى غرفتي» قالت بلا نبرة أو احساس.

فهز رأسه وخرج فتبعته.

سار بصمت نحو السلالم المؤدية الى الطابق العلوي والذي تعرفه ناتالي جيداً. لطالما كانت تقفز على هذه الدرجات وهي طفلة وكانت تشعر بالفخر والكبرياء لوجودها بهذا القصر الرائع الجمال.

ومرت سنوات قبل أن تدرك أن الكبرياء هذا لم يكن من حقها بل من حق آل ستابلتون أصحاب هذا القصر وأصحاب نصف قرية آشلي تقريباً. وأنها هي مجرد إبنة أخ مدبرة المنزل اليتيمة والتي يعمل والدها كحارس ليلي على أراضي آل ستابلتون وممتلكاتهم.

هذا مضحك، وجدت نفسها تفكر وروبرت يفتح لها باب غرفة الضيوف ويسير بخفة امامها. لكن بالرغم من كل حبها الأعمى والكبير للإبن الا انها لم تفكر للحظة في أن تكون سيدة هذا القصر بيوم من الأيام. ولا حتى بأكثر أحلامها الخيالية المراهقة. لقد آمنت بعمى أن روبرت لها لكن بدون أن تفكر للحظة بكل الثراء والغنى المرتبط به.

«آمل أن يناسبك هذا» تمتم قاطعاً عليها أفكارها.

لقد انسحب الآن وإختفى خلف قناع الادب البارد وسيطرته على مشاعره كاملة.

«هناك دورة مياه خاصة عبر ذلك الباب» تابع مشيراً إلى الباب الصغير الذي تذكره:

«اذا نزلت بعد نصف ساعة فأنا واثق أن السيدة فالو ستكون اكثر من مسرورة. فالعشاء جاهز منذ وقت قصير و...» صمت قليلاً ثم تابع بنبرة غامضة:

«كارولين بوشيه ستكون موجودة على العشاء».

بقوله هذا إستدار وغادر الغرفة مغلقاً الباب خلفه

www.elromancia.com

بهدوء.

رمت بنفسها على السرير وهي لا تزال ترتعش مما حدث لها في الأسفل منذ لحظات وتمنت لو أنها اكتفت بطلب ساندويش لها إلى هنا. لكن هذا سيظهر له ضعفها وهذا آخر ما تريد إظهاره له. في الأسفل وقد وصلت كارولين بوشيه الآن فقد سمعت ناتالي صوت جرس الباب الرئيسي يدق، فستلعب كارولين دور الملكة وحقاً لا حق لناتالي بإنكار انتصار كارولين عليها.

أغمضت ناتالي عيونها وغرقت بصفحات كتاب حياتها التي مرت عليها قبل ثماني سنوات بالضبط وحين كانت هي في السابعة عشرة من العمر فقط.

«كلا لن أفعل ذلك! لن أفعل ذلك! لا اعرف كيف بإمكانك مجرد التفكير بذلك» صاحت فتاة السابعة عشر ربيعاً بحدة والدموع تنحدر بغزارة على وجهها الفتي.

«ستفعلين هذا ناتالي!» ردت المرأة الأخرى بحدة:

«ستتخلصين من الجنين هذا! ستفعلين والا فانني لا أريد أن أراك ثانية ابدا...»

«عمتي هذا مستحيل! إنه طفلي وطفل روبرت هو لن يسمح بذلك...» تعالت الصرخات الحادة وازداد نهر الدموع:

«لن يسمح بذلك ابداً...»

«روبرت لا يحبك أيتها المعتوهة! هو فقط قد أخذ ما قدمتيه أنت له على طبق من الفضة وبكل طيبة خاطر! هو لا يحبك ولا يكترث لأمرك! إنه كغيره من الرجال، إنه بشر وأنت رميت بنفسك بين احضانه وتحت أقدامه طوال الصيف...»

الألم الهائل اجتاح قلب المراهقة الشابة ولم تصدق حينها كلمة واحدة مما كانت عمتها تقوله لها. كانت في السابعة عشر من العمر وغارقة بالحب حتى اذنيها وكانت مذعورة وخائفة. كلمات الطبيب بعد فحصه لها هي التي اجبرتها على التصديق بأنها تحمل جنين حبها داخل احشاءها. وحينها، حينها فقط صدقت كل كلمة كل كلمة قاسية قاتلة مشينة كانت تقولها عمتها لها.

بذلك الصيف بالذات عاد روبرت ستابلتون من جامعته في المدينة ليجد ناتالي المتفتحة بحرارة وانوثة على البلوغ والنضوج بعد سنوات الطفولة الطويلة. كانت في السابعة عشر من العمر وعاشقة للحياة وعشقها هذا كان يظهر ببريق عيونها الخضراء الواسعة حين أتى روبرت ليفتش عنها بذلك الصيف.

كان قد أنهى سنته الأخيرة بالجامعة بعد غيابه لمدة ثلاث سنوات كاملة في المدينة كانت عائلته تزوره خلالها وتقضي معه الصيف في مارابيا حيث تقضي

العائلة الصيف دائماً.

روبرت قد تخرج الآن وكان نافذ الصبر لاستلام المركز الذي كان بإنتظاره دوماً إلى جانب والده بإدارة شركاتهم الهائلة والممتدة بكل انحاء لندن.

آل ستابلتون العائلة الاولى والاكثر ثراءاً في آشلي وضواحيها بأكملها وأصحاب الأراضي الشاسعة التي لا تغيب عنها الشمس كانوا أصفى صفوة المنطقة بأكملها. لكن، وبالرغم من الاختلاف الهائل بين مستواهما الاجتماعي الا أن روبرت ستابلتون كان دوماً جزءاً بالغ الأهمية من حياة ناتالي شالسي.

روبرت هو من علمها ركوب الخيل وامتطائه بطريقة تهدأ من حركة الحصان وتجعله يتهادى بها عبر براري آشلي وسهولها وشعرها يتطاير في الهواء وسعادة العالم تشرق بعيونها لاحساسها بالحرية. الحرية الكاملة من شروط وتضايقات عمتها المتنقدة الصلبة ومن تجاهل والدها لوجودها واهتمامه بشؤونه ونسائه بعد موت زوجته والدة ناتالي بعد ولادتها بوقت قصير. كان روبرت دائماً يخبرها أنها طفلة ولدت بالوقت الخاطىء وفي المكان الخاطىء. فهي كان عليها أن تكون طفلة غجرية وليست ابنة حارس متباعد واناني تربيها عمة قاسية وتقليدية ومتسلطة.

روبرت كان هو من يظهر لمساعدتها كلما كانت في

ورطة. روبرت هو الذي أنقذها من الموت حين ذهبت إلى حلبة الثيران الهائجة وأرادت لعب دور الميتادور. روبرت هو الذي احتضنها بحب وعطف حين مات والدها بنوبة قلبية مفاجئة وغير متوقعة.

وروبرت هو الذي كان يمنع عنها غضب وحنق عمتها حين كانت هي تندفع بالمغامرات الخطيرة فقط لتشعر أنها حية ـ فعلاً حية.

وروبرت نفسه هو الذي انتزعها قبل ذلك الصيف بسنتين وهي تركل وتشتم من داخل سيارة طوني كامبل حيث كانت بإرتباك مراهقتها الأولى قررت أن تختبر للمرة الاولى ما تردده صديقاتها دوماً امامها حول القبلة ـ القبلة العميقة على الفم.

«الا يكفي أن الجميع هنا يعتقدون أنك متمردة طائشة وبلا سيطرة اتريدينهم أن يعتقدونك رخيصة أيضاً ولاهية؟» صرخ بها وهو يسحبها بشدة ويجرها جراً نحو المنزل.

«كنا فقط نتبادل القبل بحق السماء روبرت».

قالت بدفاع وهي تشعر بالرعب الهائل لأن روبرت بالذات هو الذي وجدها بهذا الوضع المربك:

«على الفتاة تعلم بعض الاشياء روبرت».

حدق بها بحنق والرجولة تنبع من كل شيء به وحوله.

القمر كان بدراً تلك الليلة وكان يعكس اشعته الفضية على شعره الأسود الناعم وعيونه تنظران اليها بثوبها الأبيض القطني البسيط الذي كان يظهر تفاصيل جسدها الغض النامي.

«فقط انظري الى نفسك نانا» قال:

«مجرد التقبيل لا يحتاج لفتح ازرار ثوبك العلوية لا؟»

بإرتباك مروع نظرت ناتالي إلى ثوبها ووجدت أن ما يقوله كان صحيحاً.

«أنت حتى لا ترتدين صدرية» قال بحدة.

«الفتيات لا يرتدينها بهذه الأيام» تمتمت بدفاع وهي تصحح من وضع ثوبها بكل إرتباك وخجل.

«نوع معين من الفتيات فقط لا يفعل» قال بحدة ثم أثار ذهولها حين امسك بها بقوة والصقها به وقال بغضب:

«اذا اردت دروساً لعينة بالتقبيل ناتالي، فكان عليك اللجوء إلي أنا ـ فبعد كل شيء أنا من علمك كل ما تعرفينه اليس كذلك؟»

شعرت بقوة بوجوده وهي ترفع اليه عيونها بعصبية لتلتقي ببريق عينيه الرمادي الغاضب.

همست بإحتجاج صغير مختنق الانفاس:

«لا تفعل روبرت».

الا أن فمه الذي اطبق عليها اسكتها عن المزيد من الاعتراض واشعرها للمرة الاولى بما يعنيه التقبيل حقاً.

ولا أي شيء بمغامراتها العاطفية الصغيرة بسنوات عمرها الخمسة عشر حضرها لما أثارة داخلها عناق روبرت لها وتقبيله اياها بتلك الطريقة التي اشعلت كل احاسيسها ومشاعرها بعمق وقوة اذهلاها هي ذاتها بكل براءتها وطيشها.

ثم ابعدها عنه بعد لحظات بدت لها كالعمر واخذ يحدق بها بنظرات مريرة وقال:

«ابتعدي عن الصبيان نانا» امرها بشدة:

«اتسمعين؟ ابتعدي تماماً عن الصبيان أتفهمين؟»

ثم رحل تاركاً إياها كالمشلولة المخدرة وحين استعادت وعيها واردات ان تناديه كان هو قد ابتعد داخل حديقة القصر ومنه إلى داخله.

فاستدارت هي واتجهت إلى منزلها الصغير الواقع في طرف الحديقة وصورة وجهه لا تزال امام عيونها.

عاد روبرت إلى جامعته صباح اليوم التالي ـ ولم تقع عين ناتالي عليه الا بعد مرور سنتين ونيف. لكن حين عاد هو إلى آشلي بذلك الصيف وجد امامه ناتالي جديدة.

وجد فتاة قد تخطت مرحلة الطفولة واصبحت على أعتاب ان تصبح إمرأة، خرجت من شرنقة الطفولة

www.elromancia.com

البريئة إلى الجمال الانثوي الساحر والطاغي والذي صعقه بشدة.

وجدها في الغابة قرب بحيرة الأوز جالسة على شرشف ملون وترسم المنظر الرائع أمامها. موهبتها بالرسم كانت ظاهرة منذ الصغر وروبرت نفسه هو من شجعها على تنميتها والاهتمام بها. كانت ترتدي تنورة مزهرة قصيرة وبلوزة بيضاء بلا اكمام وذراعيها وساقيها كانا قد تلونا بلون الشمس الرائع.

لن تعرف كم ظل يراقبها من مكانه قرب شجرة خلفها لكنها شعرت فجأة انها مراقبة فاستدارت لتجده متكئاً بظهره على الشجرة القريبة ويديه في جيوب بنطاله الأبيض وقميصه الأزرق الحريري يعمق لون عينيه ويزيدهما لمعاناً.

ابتعد عن الشجرة مقترباً منها وقال:

«مرحباً».

«اهلاً» اجابت وهي تبتسم له بخجل:

«لقد سمعت انك قد عدت إلى القصر».

صمت متوتر سيطر بينهما واخذ يرمق لوحتها الجميلة وقال:

«من الواضح أن موهبتك بالرسم قد نضجت وكبرت».

«اجل» قالت بابتسام والفرح يضيء نظراتها الخضراء

المشعة. لكن شيئاً ما في نظرته جعلها تلتقط انفاسها وتفتش عن شيء خفيف تتحدث عنه

«تهانينا» قالت له برقة:

«لقد تخرجت واعتقد ان العلامات متفوقة كالعادة».

طأطأ رأسه الجذاب وقال:

«يحق لي تصنيف نفسي كرجل الآن كما اظن» النبرة الهازئة كانت تغلف كلماته وحدجته ناتالي بنظرة تعاطف متفهمة. فقد تكون ناتالي قد واجهت الصعوبات بتربية عمتها لها وفق شروط وانظمة شديدة تناقض طبيعتها المتحررة المندفعة لكن روبرت وبالرغم من كل ثرائه وامتيازاته فقد كان لروبرت مشاكله الخاصة بدوره بمحاولاته للوصول الى الدرجات العالية المستحيلة التي يريد والده منه الوصول اليها.

«صيف كامل في المنزل...» تنهد وهو يتمطى ويتمدد على الشرشف قربها ورأسه يتكيء على ذراعه:

«ثم سأرحل بعد ذلك إلى كندا حيث سأبقى لمدة عشرة أشهر بالتمرن عند شركة وارنر قبل أن أعود لاستلام شركات والدي».

نظرت ناتالي بعيداً عنه وقد غلف بعض الضباب عيونها الجميلة:

«علينا أن نكبر كما اظن» تمتمت.

«اجل» وافقها روبرت وهو يدرس بروفيلها:

www.elromancia.com

«لكني اعتقد أنك قد بدأت بذلك فعلاً» رفع اصبعه واخذ يتحسس وجنتها وتابع:

«هل كنت جيدة أثناء فترة غيابي؟»

سؤاله جلب الابتسامة إلى عيونها:

«آه، أجل» إعترفت:

«على أفضل ما أمكنني على كل حال. كنت أكثر من مشغولة طوال هاتين السنتين للإنتهاء من الدراسة بالمعهد القريب وقد تدبرت لي عمتي منذ أربعة أشهر - أنا أساعد السيدة بوشيه ثلاثة أيام في الأسبوع».

«آل بوشيه؟» قال بدهشة وهو يجلس فجأة:

«لا يجب عليك أن تعملي هناك، ناتالي. فبعكس عمتك أنت لم تخلقي لخدمة الآخرين».

لمحة الاحتقار التي غلفت كلماته بتحدثه عن عمتها اثار حفيظتها وأشعل بريق عينيها وقالت بكبرياء:

«أنا لست أفضل او أسوأ من عمتي سابرين روبرت! لا أشعر بالعار والخجل بترتيبي للأسرة وغسلي للبلاط لكسب عيشي».

«حسناً، اذا كان عليك فعل ذلك لكسب العيش فالأفضل لك أن تعملي في القصر عندنا! وليس عند آل بوشيه!»

«آه، اليس هذا لطفاً كبيراً منك؟» قالت بغضب وهي تنهض لتجمع أغراضها لترحل وشلال شعرها الذهبي

ينسدل حول وجهها المحتقن:

«بكلمات اخرى لا مشكلة عندك بمسحي لبلاط قصركم لكن ليس بلاط أي أحد آخر».

فهي كانت تساعد عمتها بين الحين والآخر. كان عليها هذا - بوصفها قريبة مدبرة المنزل.

«أنا لم أقصد ذلك» قال بحدة ممسكاً برسغها ليمنعها من النهوض:

«قصدت... اللعنة، ناتالي».

شدها وسقطا معاً على الأرض وحدق بها وهو يتابع:

«لا شك أن كارولين بوشيه تتفاخر بوجودك عندها للخدمة وتنشر ذلك على الجميع».

«استطيع تدبر أمر كارولين» قالت مبعدة نظرها عنه لأن كبريائها كان يتألم لادراكها أن كارولين بوشيه تتفوق عليها بمراتب اجتماعية كثيرة هي نفسها لا تعترف بها.

وكانت كارولين تشعر بالغيرة القاتلة من العلاقة الخاصة التي تربط بين روبرت وبين ناتالي ووجود ناتالي بخدمتها لثلاث أيام في الأسبوع كان كالجحيم الكامل لناتالي، فكارولين لم تكن تترك اية فرصة صغيرة تمر دون أن تذكر ناتالي بوضاعة مركزها الاجتماعي والفروقات الكبيرة بين مستواهما.

خفت قبضته على رسغها الا انها لم تحاول الابتعاد وظلت تحدق به عبر رموشها بينما غرق هو بأفكاره

www.elromancia.com

الخاصة.

«لا زلت لا ترتدين الصدرية» علق فجأة مما جعل وجهها يحمر خجلاً وهي تنظر اليه.

«الجو ـ الجو حار جداً» قالت بدفاع واللون يزداد على وجنتيها وهي ترى نظرته المركزة على صدرها البض.

«جميل» تمتم بعمق:

«جميل...» ورفع عيونه لتتشابك مع عيونها:

«لم أستطيع طوال السنتين الماضيتين من نزع جمال وجهك وصدرك من خيالي ناتالي» قال بصوت مبحوح:

«ليس منذ أن قبلتك تلك الليلة تحت ضوء القمر».

«لا تفعل روبرت...» قالت وارادت الابتعاد عنه الا أن شيئاً ما أبقاها مكانها. رفع يده وأخذ يلامس صدرها من فوق البلوزة القطنية الرقيقة وحين شعر بإرتعشاتها المستجيبة وسمع شهقتها الصغيرة ورأى فمها الشهي ينشق بإغراء رفع اليها عيونه اللامعة وهمس:

«صدر جميل، شفاه جميلة. لم أستطع نسيان تلك القبلة ايضاً». تمتم بصوت هامس:

«وقد انتظرت سنتين لعينتين كاملتين لمعاودة تقبيلك مجدداً.

قربها منه وبدون مقاومة التصقت هي به وغرقت بدفء قبلته وعناقه وهناك تحت ظلال الأشجار قرب

مياه البحيرة المتلألأة وعلى صوت العصافير المغردة حول روبرت ناتالي العذراء إلى إمرأة حرة طليقة وسعيدة.

«أنا مغرم بك ناتالي» همس بحرارة حين أدرك حقيقة ما فعلاه وجعلها هذا تقاتله بضعف:

«أعتقد أنني كنت دوماً مغرماً بك منذ لحظة ولادتك».

وغرقت هي بحرارة وصدق اعترافه. ولم تسأل مرة عن مدى صدقه وأمانته بما اعترف به، فهي لم تعتقد ولا لمرة واحدة فقط أن بإمكان روبرت بإستثناء كل الناس غيره أن يكذب عليها هي. وطوال الصيف كانا لا يفترقان عن بعضهما البعض كلما سنحت لهما الظروف وكانا يسترقان لحظات السعادة والمتعة هذه بالتقاءهما بسرية في الغابة او في أي مكان آخر للاستمتاع بحبهما دون أن يشاركهما أي احد آخر بذلك.

بنهاية ذلك الصيف كادت ناتالي أن تنهار لشدة حزنها من اضطراره للسفر إلى كندا لمدة عشرة اشهر كاملة.

«هذا للافضل يا حبيبتي» قال لها وهو يضمها اليه بقوة وكأنه يتألم لمجرد ذكره لسفره:

«يجب أن أثبت نفسي لأبي كرجل يعتمد عليه وبشخصية قوية قبل أن أبدأ بإطلاعه على طلباتي. وأنت

لا تزالين صغيرة السن... لكن حين أعود، اعدك اننا سنتزوج على الفور سنتزوج يا حبيبتي حتى ولو اضطرني ذلك لمعاداة العالم بأسره». قال بشدة وعمق وتابع:

«لا يمكن التفريق بيننا ناتالي ـ فأنت وأنا أصبحنا جسداً واحد وروحاً واحدة».

ذهب لعشرة أشهر ولم تراه لثمانية وتسعون شهراً.

وبعد رحيله بشهرين أدركت ناتالي انها تحمل طفله بأحشائها. لجأت إلى عائلته واطلعتهم على ما حدث طالبة منهم عنوانه.

كلمات والدته الرنانة ستظل محفورة بأعماق قلبها إلى الأبد.

«لا أحد يستطيع إبتزاز هذه العائلة واجبارها على الزواج» قالت الوالدة بحدة وزوجها يحدق بابنة الحارس باحتقار وقرف:

«أنت تقولين أنه طفل روبرت لكن روبرت أنكر ذلك. في الحقيقة روبرت يتساءل عن إمكانية معرفتك لهوية الجنين هذا بالضبط، بما أن حقيقة انك متوفرة لكل من يطلبك شيء أكثر من ظاهر وأكيد»

تابع والده تمزيقها بإعطائها شيك بمبلغ من المال رماه لها وهو يقول وعيونه تعكس ازدرائه واحتقاره:

«تخلصي من جنينك اللقيط هذا. الاجهاض ليس بالأمر الصعب بهذه الأيام. وقد أعطيتك المبلغ الأكثر

من كافي لقيامك بذلك! لا أريد أن يرتبط إسم ابني بأية فضيحة أنت وحدك مسؤولة عنها! ابني سيتزوج من كارولين بوشيه الفتاة المحترمة الشريفة سليلة الحسب والنسب. لقد خططت لهذا منذ سنوات وإما أن تتخلصي من ذلك الطفل وإما أرمي بك وبعمتك خارج آشلي كلها ـ وسأتأكد بنفسي الا تحصلوا على عمل آخر في أي مكان آخر بالجوار نظراً للمعلومات التي سأعطيها للجميع عنك! أفهمت ذلك ايتها المتسلقة الرخيصة؟ لا أريد أن أراك هنا مجدداً. أغربي، أغربي عن وجهي وابتعدي مع فتيات من أمثالك».

غادرت ناتالي القصر والدموع والاحتقار والألم والغضب واليأس يختلطون داخلها ويمنعاها من الرؤية الواضحة. وهي تصرخ بهستيريا.

استقبلتها عمتها بنفس الشيء وقالت:

«عليك أن تفعلي ما يطلبانه آل ستابلتون منك ناتالي، لقد مضى على عملي بهذا القصر عشرون عاماً ناتالي عشرون عاما! أنا اكثر من مسنة للتفتيش عن عمل آخر بمكان آخر! وأنا لا أريد ذلك أصلاً! إذهبي ـ إرحلي ـ تخلصي من الجنين اللعين وبحق السماء! بحق السماء لا تعودي إلى هنا ثانية! لقد غسلتني بالعار بما فيه الكفاية ـ بأكثر من الكفاية! لا تعودي إلى هنا أبداً...»

وهذا ما حدث وما كان ليستمر بالحدوث لولا ان

قرأت ذلك الاعلان قبل ساعات ام قبل سنوات؟

هزت رأسها بعنف مبعدة ذكرى التعاسة هذه من عقلها وفتحت عيونها مجدداً وهي تتساءل هل القدر هو الذي جعلها توافق على العودة إلى هنا؟ هل مصيرها هو الذي اعادها مجدداً إلى آشلي؟ صوت طرقات على باب الغرفة سرقها من أفكارها وذكرياتها الحزينة وسمعت صوتا نسائياً يقول:

«آنسة شالسي السيد ستابلتون والأنسة بوشيه بإنتظارك».

«أجل سأنزل بعد عشر دقائق» ردت ناتالي وهي تمسح وجهها بيديها وتزيل آثار الدموع عنها ثم دخلت غرفة الحمام حيث ادارت المياه الدافئة واغتسلت بسرعة مبعدة عنها كل الماضي ومستعيدة سيطرتها وتعقلها وتركيزها على المستقبل الذي ازدادت خشيتها عليه...

سرحت شعرها جيداً وتركته ينسدل على اكتافها ثم ارتدت الثوب الذهبي الرائع المصنوع من خيوط الحرير والمطرز بخيوط الذهب. الثوب كان ضيقاً على الصدر والخصر وطويل وله شق طويل من طرفه يظهر ساقها الجميلة الصب.

أضافت بعض الماكياج لوجهها الجذاب وابتسمت لنفسها بالمرآة فمهما كانت كارولين متأنقة ومتشاوقة هذا المساء فهي لن تظهر بمظهر أجمل مما تبدو عليه ناتالي

الآن. فلطالما كانت العيون تتجه إلى وجهها البرونزي وعيونها الخضراء الواسعة وليس إلى شعر كارولين الأصفر وعيونها الزرقاء الصغيرة ووجهها ذو الملامح الطفولية.

اتجهت نحو الباب ورفعت ذقنها بكبرياء ونزلت السلالم بخطواتها الأنيقة الواثقة.

روبرت وكارولين كانا بإنتظارها في قاعة الجلوس. روبرت ببذة رسمية نيلية وقميصاً اخضر اللون وانتبهت ناتالي للمرة الأولى أنه صار يهتم بأناقته بطريقة كانت تزيد من جاذبيته وسحره الآن وقد اكتمل نضجه واكتملت رجوليته. فهو يبلغ الواحد والثلاثين من العمر الآن فكرت بألم. هزت رأسها ورفعت نظرها عنه إلى الفتاة المتأنقة التي كانت تجلس قربه وتحدق بها بدهشة.

كانت تزال نحيلة ورشيقة وشعرها الأصفر الذهبي كان مرفوعاً بأناقة أعلى رأسها. ثوبها كالعادة كان فاخراً وثميناً يناسب بلونه الفيروزي ملامح وألوان كارولين.

نظرة روبرت المخترقة كانت تراقبها وهي تقترب منهم برشاقة، آخذاً بعين الاعتبار شعرها العسلي الكثيف الناعم المنسدل بأنوثة على أكتافها وحول وجهها الساحر الجذاب التقاطيع ومنتبهاً لجسدها المتناسق بتقاطيعه وتضاريسه الأنثوية الواضحة تحت الثوب الضيق.

العيون الرمادية ارتفعت إلى عيونها وأخذ قلبها ينتفض بقوة للنظرة التي برقت داخل عيونه للحظة قبل أن يستعيد مجدداً قناع البرودة والصلابة.

ابعدت نظرها عنه وقالت:

«مرحبا كارولين».

«أهلاً ناتالي» ردت الفتاة الأخرى بصوتها الصغير:

«لقد تغيرت كثيراً. كيف حال عمتك الآن؟ لقد كنا جميعنا بالغي القلق، المسكينة، مع أن روبرت كان رائعاً وبالغ اللطف معها، اليس كذلك حبيبي؟»

لم يجيبها روبرت ونهض ليحضر الشراب لناتالي.

فتابعت كارولين بتعمد:

«ولحسن الحظ فقد وجدنا السيدة فالو فوراً وهكذا فإن مرض عمتك لم يسبب الكثير من... عدم الملائمة في القصر هنا و...»

«كارولين من الأفضل التوجه إلى غرفة المائدة لأن كل شيء اصبح جاهزاً» قال روبرت مقاطعاً اياها بجفاف.

رمته كارولين بنظرة سريعة وقالت:

«آه أخيراً حان الموعد... لا أعرف روبرت. لربما كان من الأفضل لو أنك حذرتني من أن موعد العشاء سيتأخر حتى هذا الوقت. أكاد أموت من الجوع».

«أعرف وأعتذر عن ذلك» قال بلياقة باردة وهو يقود

ناتالي إلى غرفة المائدة وكارولين تسير بجانبهما:

«كان علي الاتصال بك وإلغاء موعد العشاء هذا لكني بصراحة نسيت تماماً انك ستحضرين الى القصر للعشاء كارولين وتذكرت ذلك فقط حين فتحت لك الباب»

«شكراً لك على صراحتك!» ردت الفتاة وادركت ناتالي دون أن تنظر اليها أن اللون الأحمر قد غزا وجنتيها وظلت صامتة لحين جلوسهم حول المائدة.

وحول المائدة أخذت كارولين كما توقعت ناتالي تشغل روبرت بأحاديثها المشرقة حول أشياء لا معنى لها وحول أشخاص وأسماء لا تعرف ناتالي عنها شيئاً. ولهذا فقد تشاغلت الاخيرة بتناول الطعام وبالبقاء صامتة شاكرة حظها أن كارولين لا تتحدث عنها هي.

«اتريدين المزيد من العصير ناتالي؟» تفاجأت حين وجه لها روبرت هذا السؤال ورفعت عيونها لتواجه النظرة العميقة داخل عينيه.

«لا... شكراً» رفضت بأدب.

لكن هذا السؤال جذب انتباه كارولين اليها وانتظرت ناتالي سيل الأسئلة الاستفزازية التي ستوجه لها.

«حسناً» بدأت كارولين بهدوء:

«لقد... لقد كان من الجيد رؤيتك ثانية نانا. هل ستطول إقامتك هنا؟»

«لا أعتقد ذلك» ردت ناتالي بغموض متعمد مصممة

www.elromancia.com

على عدم منح كارولين الاكتفاء بمعرفة أي شيء عن خططها وخطواتها المقبلة:

«لكننا بدون شك سنشاهد بعضنا مجدداً قبل رحيلي». وإبتسمت لها بتظاهر.

«هذا محتمل جداً» ردت كارولين بابتسامة مشابهة:

«بما انني وروبرت نقضي معظم اوقاتنا سوياً» قالت ورمت روبرت بابتسامة جذابة متابعة:

«قد نخرج سوياً بسهرة ما... استطيع دائماً ايجاد شريك لك نانا».

اجل لكن من؟ الجنائني او السائق او لربما رئيس الخدم؟ فكرت ناتالي مدركة تماماً ان هذا هو ما يجول برأس كارولين وما توحي به نبرتها.

«لم أقطع كل هذه المسافة لحضور السهرات والحفلات كارولين» اعلمتها ناتالي ببرود:

«عمتي مريضة وسأقضي معظم وقتي اثناء إقامتي هنا معها».

«ثم ستعودين إلى حياتك المعتادة دون شك» مجدداً تلك النبرة المتعمدة بصوت كارولين التي تابعت:

«انتما لم تكونا... مقربتين جداً من بعضكما البعض، اليس كذلك؟»

«مقربتين كفاية الآن لأفكر بإمكانية العودة للعيش هنا اذا رغبت عمتي بالبقاء في آشلي» سمعت ناتالي نفسها

تقول هذا رداً على استفزاز كارولين لها.

وشعرت بالرضى لأن الدهشة ظهرت على الوجهين الآخرين رغم انها لم تكن تعني ما قالته حقاً. فمن رابع المستحيلات لها العودة للعيش هنا هي وجيمي، جيمي بالذات. فتابعت قائلة:

«لكن قد اتمكن من اقناعها بالعودة للعيش معي».

«اين؟» سألها روبرت بحدة.

نظرت اليه مدركة أنه لا يزال يجهل مكان إقامتها ولا نية لديها بالطبع بإطلاعه على ذلك.

«في واشنطن» اجابت فوراً مدركة أن البحث عنها هناك سيكون كالبحث عن إبرة في كومة من القش.

«لقد عاشت عمتك كل حياتها هنا في آشلي» قال مبعداً فكرتها بنبرة قاطعة:

«فقط الشخص المتوحش البلا جذور سيفكر بانتزاعها من هذا المكان وهي بهذا السن».

«اذن ماذا تقترح أن أفعل؟» تحدته ببرود:

«لست بلهاء روبرت، اعرف جيداً أن عمتي لن تتمكن من متابعة عملها كمدبرة منزل بعد خروجها من المستشفى. فهذا اكثر من واضح وهي اصبحت في سن التقاعد الآن وكما اوضحت انت ذلك مسبقاً» اضافت بصوت حريري:

«انها مسؤوليتي وليست مسؤولية أي شخص آخر».

www.elromancia.com

«اذن كما اقترحت منذ لحظات سيكون عليك المجيء للعيش هنا» قال بلهجة انتصار جعلت ناتالي تقطب جبينها بحيرة. لماذا يرغب هو نفسه بذلك؟.

«ارتباطاتي الحالية قد تجعل هذا الامر... صعباً» قالت.

«اهناك رجل ما؟» سألت كارولين بصوت معسول.

حدقت ناتالي بروبرت للحظة قبل أن تنظر إلى كارولين وتقول:

«أليس هو موجوداً دوماً؟ لكني ادير أعمالي الخاصة الآن ولا استطيع فعلاً إغلاق العمل او نقله الى هنا».

«انت ـ تديرين عملك الخاص؟» سألت كارولين بعدم تصديق كامل وابتسمت ناتالي لأنها نجحت اخيراً بالتأثير على كارولين.

«أجل» ردت بكبرياء:

«لكنه ليس من النوع الذي يمكن نقله من مكان إلى آخر بكل سهولة. إنه محل لبيع الألبسة الجاهزة وقد افتتحت به مؤخراً فرعاً للتصميم والخياطة والعرض ـ زبائني يعتمدون علي شخصياً. ولهذا فعلي التواجد حيث يكونون، اذا فهمت قصدي».

«آه» علقت كارولين وقد بدت عليها الخيبة:

«اتقصدين انك تملكين محلاً لبيع الألبسة الجاهزة؟»

«الاهم هو قسم التصميم فأنا أنتج الآن ماركة معروفة

من أثواب النساء؟»

«حقا؟» سألت كارولين بعدم تصديق.

«أجل ـ ماركة برنس هي من إنتاجي الخاص».

«برنس للألبسة النسائية من إنتاجك؟» قالت كارولين بعد لحظات ونظرت بحسد الى ثوب ناتالي وقالت:

«وهل هذا برنس؟»

«كلا إنه مصمم لي أنا شخصياً فقط» قالت ورفعت نظرها إلى روبرت الذي بدا عليه التفكير العميق وتابعت:

«استأذن الآن... علي الخلود للنوم، لقد كان يومي طويلاً ومرهقاً».

«بالطبع» قال ونهض عن الطاولة بأدب.

«تصبحون على خير» قالت ببرود.

«تصبحين علي خير» ردا ببرود مماثل وهما يحدقان بها بتفكير.

غادرت ناتالي الغرفة واخذت نفساً عميقاً وهي تعبر الصالة ثم إتجهت نحو السلالم حيث سمعت صوت روبرت ينادي اسمها بنعومة وهو يغلق باب غرفة المائدة خلفه.

استدارت لتنظر اليه وتعابيرها مستفسرة ومرهقة.

«لا تزال معي» قال بصوت رقيق.

قطبت محاولة أن تفهم معنى كلماته.

«برنس» قال بإشراق وتوسعت عيونها لإدراكها معنى كلامه.

«لماذا إخترت إسمه بالذات من بين كل الأسماء الاخرى ناتالي؟» سألها وهو يقترب ليقف قربها:

«هل يعني هذا أنك كنت تفتقدينا وأنت مشغولة ببناء عملك؟»

إستدارت مبتعدة عنه وقالت بهدوء:

«إذا قصدت بسؤالك هذا إذا كنت أفتقد برنس فإن الجواب هو أجل. لقد كان هو وحده الصديق الحقيقي لي في هذا المكان. بالطبع أنا أتذكره».

تابعت خطواتها دون أن تنظر إليه لكنها شعرت بعيونه المتقلصة تلهب ظهرها وندمت، ندمت لأنها سمحت لاستفزازات كارولين بالنيل منها وجعلها تبوح بشؤون عملها وحياتها وها هو الآن يرغب بمعرفة المزيد.

إرتعشت بغضب من نفسها لتلك الزلة وأغلقت عليها باب غرفتها. هي لم تأتي إلى هنا لتتباهى ولتظهر لهم جميعاً نجاحها بحياتها بالرغم من تعارضهم جميعاً لتحطيمها!.

ليلة ناتالي بتلك الليلة كان سلسلة من الكوابيس وأحلام الذكريات والمشاهد الماضية التي كانت تجعلها تستيقظ من النوم وهي تشعر بالألم بقلبها المطعون. وهكذا مع أول ظهور لخيوط الشمس إستيقظت

وصعدت إلى تراس القصر للتمتع بجمال المنظر وسحره من هناك.

لم تنزل إلى الطابق السفلي الا بعد أن تأكدت من ذهاب روبرت إلى عمله وذلك بعد أن شاهدت سيارته تبتعد خارج بوابة القصر.

أبلغتها مدبرة المنزل بذهابه وأبلغتها رسالته القائلة بأن السائق الخاص سيوصلها إلى المستشفى. تناولت ناتالي فطورها ثم إرتدت بنطالاً بنياً وقميصاً جريدياً مشجراً وسرحت شعرها جيداً ثم ذهبت إلى المستشفى.

قضت النهار بأكمله إلى جانب سرير عمتها وإستراحت حين شعرت بتحسن حالتها عما كانته البارحة وببطء وبإدراك كبير من الطرفين بدأت ناتالي وعمتها بإرساء قواعد علاقة جديدة بينهما. لم تذكر ناتالي لعمتها موضوع جيمي ولم تسأل سابرين عن عملية الإجهاض التي أرادت وعائلة ستابلتون منها أن تجريها. قبل سنوات ثمانية.

كانت تحدث عمتها عن عملها حين ظهر روبرت داخل الغرفة. هي لم تسمعه يصل فخطواته كانت كالعادة بلا صوت. وعمتها هي التي رأته أولا وابتسمت له بإشراق وهي تتمتم:

«روبرت! كم تسرني رؤيتك».

«تبدين بحالة أفضل اليوم سابرين» قال وهو يقترب

من السرير ليداعب الخد العجوز. ويقبله. وشعرت ناتالي أن وجوده يضفي على جو الغرفة القوة والسيطرة.

وسمعته يتابع بمرح:

«أتساءل ما الذي سبب هذا التحول؟».

ظهرت الدموع داخل عيون سابرين وقالت برقة:

«آه، روبرت... شكراً لك على إيجادك لها...»

وتحركت اليد الرقيقة لتمسك بيد ناتالي ولتشد عليها بحنان وتابعت:

«لا تعرف كم تعني لي رؤيتي لنانا مجدداً».

«أعتقد أنني أعرف سابرين» قال بهدوء وعيونه تتشابكان بغموض مع نظرة ناتالي.

«كان كل هذا بسببي أنا - خطئي أنا كما تعرف» تابعت عمتها ببكاء:

«أنا من أرسلها بعيداً - وهي بعد طفلة، طفلة يصعب السيطرة عليها. لكن لم يكن يحق لي أن أفعل ذلك!»

وجهت عيونها الباكية إلى ناتالي متابعة بحزن:

«لم يكن يحق لي ذلك نانا، وقد قضيت كل هذه السنوات أندم على ذلك».

«لا ترهقي نفسك عمتي» قالت ناتالي بحب عميق وقد تأثرت من مدى الألم والندم الذي تشعر به عمتها:

«لم يعد هذا كله يهم الآن. الماضي هو الماضي، ومن الأفضل نسيانه الآن الا تعتقدين ذلك؟» قالت

ناتالي مغلقة الموضوع مخافة أن تتفوه عمتها بشيء ما أمام روبرت. فآخر ما تريده ناتالي هو أن يعرف روبرت بأمر ابنه.

«آه، أجل» قالت عمتها بتنهد وهي توشك على النوم:

«أفضل نسيان كل الماضي لو أستطيع».

استغرقت سابرين بالنوم وظل روبرت وناتالي يحدقان بها لبعض الوقت قبل أن يغادرا الغرفة.

أمسك روبرت بيدها للحظة فور مغادرتهما للغرفة وقال:

«هل هي من أرسلك بعيداً؟»

ترددت بالإجابة ثم قالت:

«أجل» دون أن تكشف هوية من اجبرها على هذا الرحيل.

«لماذا؟» سألها وعيونه مدفونة داخل عيونها:

«هل عرفت بشأننا نانا؟ هل كان ذلك هو السبب؟»

إرتعشت بشدة لمناداته لها بالإسم الذي كان كالموسيقى على آذانها كما نطقته شفاهه. عضت على شفتها السفلى بقوة متسائلة عما دفعه ليبدو مذهولاً لفكرة سبب طردها هذه في حين أن عليه الادراك أنه هو نفسه من دفعها لذلك.

«كما قلت لعمتي منذ لحظات...» قالت وقد

www.elromancia.com

إستعادت قناع البرود والصلابة:

«الماضي هو الماضي ومن الأفضل نسيانه».

ظل يحدق بها للحظات مدركاً أن كلماتها تخفي الكثير من الأسرار والأشياء التي يعرف هو شيئاً عنها.

لكن بالنسبة لها هي، لم يكن هناك العديد من هذه الأسرار. إذا قرر روبرت نسيان كل الذكريات ورميها خلف ظهره فهذا هو شأنه لكن إن كان بقسوة القلب هذه ليتمكن من نسيان الماضي فعلاً فلا فائدة إذن من محاولة التحدث عن ذلك الماضي إستعادث صلابتها وسارت امامه.

راقبها مخترقاً كل خطوة تخطوها مدركاً أنها قد اختبأت خلف قناعها الصلب. في الماضي كانت كل مشاعر ناتالي وأفكارها تظهر على وجهها وداخل عيونها لكن الآن صار من الصعب جداً عليه إختراق نظرتها لمعرفة ما يدور داخل عقلها.

بإستثناء حين قبلها تلك القبلة. فقد إندفعت مشاعرها عبر الحواجز وسببت له الصدمة والذهول لعمق كرهها ونفورها منه. وتركه هذا غاضباً ومهاناً لأنه سمح لمشاعره هو بالظهور.

عاد إلى القصر والصمت رفيقهما الثالث.

وإرتاحت ناتالي لهذا لأنها كانت بحاجة للتفكير بالعديد من الأشياء. لقد تحدثت اليوم مع طبيب عمتها

وعرفت منه أن صحتها لن تعود إلى حالتها الطبيعية ابداً. وأنها ستظل بحاجة للرعاية والعناية حتى بعد خروجها من المستشفى. وهي بالطبع لن تتمكن من معاودة العمل وسيكون عليها الاستلقاء والابتعاد عن كل ما يثيرها ويحرك أعصابها. فإذا حدثت لها أية نوبة اخرى في المستقبل فإنها ستكون القاضية عليها لا محالة.

«اخشى انني لن أكون متواجداً على العشاء هذه الليلة».

قطع فجأة صوته حبل أفكارها جاعلاً إياها تنظر إليه كأنها قد نسيت أنه يجلس على المقعد بجانبها خلف المقود.

«عندي بعض الإرتباطات بالعمل وسأتاخر في المكتب إلى ما بعد العاشرة».

«لا بأس» قالت ببرود:

«أنا لا أبقى معك بوصفي ضيفة ولهذا فلا تشعر بأنك المضيف وأن عليك تسليتي».

«لربما علي تسليتك فعلاً» تمتم وهو يرميها بنظرة سريعة.

تجاهلت تعليقه ونظرت بعيداً عبر النافذة. لكن ضربات قلبها تسارعت لتعليقه المعسول هذا وفهمت ما يقصده بكلماته. وأدركت أنه بدأ يؤثر عليها بنفس

الطريقة التي كانت تشعر بها في السابق، في نفس المكان المؤلم داخل أنسجة قلبها الممزقة.

تنهدت بعمق وتمنت لو أنها لم تكن هنا معه، وتمنت لو أنها لم تقرأ مقالة الجريدة تلك.

«ما دمت وعمتك تستطيعان إرساء دعائم السلام مجدداً بينكما ناتالي» قال بهدوء:

«الا تعتقدين أن بإمكاننا محاولة فعل ذلك بدورنا؟».

- ٨ -

كلا، قالت بنفسها فوراً. لن نتمكن ابداً من فعل ذلك. نظرت إليه بتمعن مدركة أن روبرت ستابلتون الذي تراه أمامها الآن قد أصبح رجلاً ناضجاً بكل معنى الكلمة قد أصبح قادراً وحكيماً ومسيطراً.

روبرت ستابلتون الذي كانت تعرفه سابقاً كان متهوراً ومستعداً لتشجيعها للقيام بمغامرة مثيرة، كان يعشق طبيعتها المتمردة المغامرة، وحبها المتأجج للحياة.

وكان حين يعانقها ويبادلها الحب كان يغرقها في بحار النشوة والمتعة بكل مشاعره وعواطفها.

تحركت أحاسيسها متوسلة بعض التأكد أنه لا يزال هنا لكنها أسكتت هذا الصوت داخلها فقد حولتها السنوات إلى المرأة التي هي عليها الآن. وحولته هو

www.elromancia.com

إلى الرجل الهادىء المسيطر والقادر. وأصبح هو أكثر خطراً الآن، لأنه كما يبدو كان قادراً على إفهامها هذا ولو فقط عبر هذه الوسيلة الخطرة بجعلها تقارنه مع روبرت ستابلتون القديم.

«لا أعتقد ذلك روبرت» أجابته بصدق:

«فبعكسي وعمتي، نحن لم نعد نملك أي شيء مشترك بيننا».

«وهل تعتقدين ذلك حقاً؟» قال وأصابعه تتصلب على المقود للحظات:

«أنا لا أعتقد هذا... لا أعتقد هذا مطلقاً».

التقت عيونهما وللحظة، لجزء من اللحظة فقط نزلت نظرته إلى جسدها قبل أن تعود إلى عيونها. وهذا كان كافياً لها لتعرف ما كان يقصده بالضبط.

لقد رأت تلك النظرة بعيونه في السابق - لمرات ومرات. هو لا يزال يرغب بها! يرغب بها بلهفة وحرارة كما كان قبل ثماني سنوات! رغبة جامحة عميقة وقوية دون التفكير بالعواقب والنتائج عما يمكن أن تفعل هذه الرغبة لهما!

بإرتباك أبعدت نظرها عنه وتصلبت شفاهها بخوف واشمئزاز.

«إنس هذا روبرت!» قالت بصوت كالموت:

«أنا لم أعد تلك الفتاة الحمقاء الغبية والساذجة التي

كنتها منذ ثماني سنوات - لقد كبرت بسرعة وبشكل كامل والفضل يعود لدروسك القاسية التي علمتني اياها».

نطقت كلماتها الاخيرة بكل المرارة والألم مما جعله ينظر اليها بذهول.

لحسن الحظ كانا قد وصلا إلى القصر ففتحت ناتالي باب السيارة وغادرتها بسرعة مصممة على الالتجاء إلى غرفتها للتخفيف من عمق الغضب والحقد الذي كان يشتعل داخلها.

الا أنه لحق بها وهي تصعد السلالم وسارع بالقبض على رسغها ومنعها من متابعة السير.

«لم ننتهي بعد ناتالي» قال بحدة:

«لقد ضقت ذرعاً بالملاحظات المتعمدة التي ترمينها بوجهي بين الحين والآخر - أنت من تركني ورحل قبل ثمانية سنوات ناتالي وقد حان لك الوقت لتدركي ذلك».

حدقت به بعدم تصديق لعمق دفنه للحقيقة وقالت له بغضب عارم:

«فكر بما تشاء عليك اللعنة! أنا لست دميتك الخشبية التي ترميها أو تلعب بها ساعة تشاء وتريد».

«كلا» رد بحدة مماثلة:

«أنت إمرأة قاسية بلا مشاعر قررت ولسبب الله وهي

وحدها تعرفه قررت أنه مهما كان ما حدث هنا قبل ثمانية سنوات فالحق يقع على الجميع الا عليها هي».

«هذا صحيح» وافقته وهي تحاول الافلات من قبضته دون جدوى:

«قاسية، بلا مشاعر وبعيدة المنال... لك او لأي رجل آخر يفكر بإستغلالي مجدداً»

«وجيمي؟» أصر بحدة:

«أين يترك هذا حبيبك جيمي؟»

التمعت عيونها بشدة وقالت:

«هذا يترك جيمي بمكانه وحيث هو دائماً - إنه الاستثناء للقاعدة الصلبة، إنه يمتلكني قلباً وروحاً وجسداً! ولا أنت، ولا... كل إغراءاتك القديمة... سوف - سوف تحطم ذلك».

تخلصت من قبضته وتركها تبتعد عنه وهي ترتعش بشدة وجدت صعوبة معه بالمحافظة على توازنها على السلالم.

«لكنه، مثلي تماماً لم يكن بحاجة ليتزوج منك ليجعلك عبدته المطيعة...» قال بقسوة عميقة هزت أعماقها:

«ومثلي... مجدداً كما أظن، هو وجد أن بإمكانه الحصول على ما يريد منك دون اضطراره للتورط بأشياء تقليدية مفيدة كالزواج».

«هذا صحيح» وافقته دون أن تعطي له أي شيء أو مقدمة له كل شيء إذا كان عنده التنبؤ الكافي وحدة النظر:

«إنه يشبهك بالعديد من الأشياء - بإستثناء شيء بالغ الأهمية ومصيري». استدارت ببطء لتنظر إليه وعيونها تحمل كل الإزدراء كنبرتها تماماً:

«كما ترى جيمي يحبني. أنا الشخص الوحيد في العالم كله الذي يهتم له. ولا هو ولا أنا بحاجة لدليل مادي من أي نوع لنعرف أن هذا صحيح».

شيء ما تحرك بأعماقه وحدقا ببعضهما للحظة طويلة قبل أن تستدير وتتابع خطواتها.

«وهل يعرف... جيمي الرائع خاصتك هذا عن إجهاضك؟» تجمدت ناتالي مكانها وكأن روبرت قد طعنها بسكين حاد إخترق أعماق أعماق قلبها.

«ام أنك فضلت إخفاء هذا التفصيل الصغير عنه؟ ليس العديد من الرجال يتقبل فكرة قتل الاجنة ناتالي. فهذا الأمر لا يتناسب مع جهة نظرهم الوردية التي يفضلونها عند نسائهم، اليس كذلك؟»

«أنت من بين كل الآخرين عليك إدراك ذلك روبرت» أجبرت نفسها على التحرك مجدداً مجبرة نفسها على النطق والقاء نظرة اخرى عليه راغبة بزرع أظافرها بجلد وجهه:

www.elromancia.com

«فمن المفترض بك أنك قد أصبحت رجلاً بعد كل شيء».

تركته وشعور الرضى يكتنفها لأنها أصابته بالصميم وأسكتته وظلت الكلمة الأخيرة لها هي. وبعد أن أغلقت باب غرفتها على نفسها إرتمت على السرير والغضب ينطلق كالشرارت من عيونها النارية وهي تصيح بكل ألم:

«اللعين القاسي ـ الحقير الفظ الميت المشاعر».

إتصلت بجيمي صباح اليوم التالي وأخذت بعض القوة من ثرثرته البريئة.

«اهلاً ماما» قال بصوته الاحب إلى قلبها:

«يقولون أن الثلج يتساقط عندك وأن الثلج أصبح بعلو المنزل».

ضحكت ناتالي قائلة:

«لا جيمي هناك مبالغة بهذا الوصف. أجل لقد تساقط الثلج أثناء الليل وأجل هو كثيف على الأرض. لكن الشوارع سالكة والسير متحرك»

تحدثت بعد هذا مع أماليا واطمأنت منها عن سير العمل.

«كيف وجدت العودة؟» سألتها أماليا بعد قليل.

«صعبة» إعترفت ناتالي:

«الأمر غريب، لكن يبدو أنني غير قادرة على معرفة

شعوري حول أي شيء حولي بعد. لقد انصدمت بشدة حين رأيت ما آلت إليه عمتي التي كانت دوماً رمز القوة والصلابة لي... سأواجه بعض المشاكل قريباً أماليا... عمتي ستكون بحاجة للرعاية والاهتمام الكامل بعد خروجها من المستشفى ولا أدري كيف سأفعل ذلك مع وجود كل المشاكل والمصاعب المستترة والتي ستظهر معها».

«وروبرت ستابلتون؟» سألتها صديقتها بعناية:

«هل قابلته؟»

«آه، أجل» قالت ناتالي:

«أنا أقيم في قصره وأتحدث معك من مكتبه الآن ممثلة دور الزائر المتردد مع المضيف المتردد».

«يا الهي» قالت أماليا بتفهم فهي كانت تعرف كل قصة صديقتها وعذاباتها:

«وكيف حدث ذلك؟»

«إنها قصة طويلة» قالت ناتالي بتنهد:

«عليك الانتظار لحين أعود. أنا أفكر بالعودة اليوم بالذات فلم يعد بإمكاني التحمل لاكثر من هذا».

«الوضع مؤلم وقاتل أماليا. سأعود إلى هنا بنهاية الأسبوع لحين تستعيد عمتي صحتها وتصبح قادرة على القدوم لتعيش معي».

www.elromancia.com

«تبدو هذه فكرة جيدة ناتالي» قالت صديقتها بتعاطف:

«لا تقلقي بشأن جيمي فهو وابني يحولان حياتنا الى جنة».

ضحكت ناتالي وقالت:

«أنت أعز صديقة وأخت أهدتني إياها الأيام أماليا».

«صه لا تقولي هذا ناتالي» ردت صديقتها فوراً:

«تعرفين مدى حبنا لك ولجيمي».

«أجل، اعرف».

«إلى اللقاء الآن».

وضعت ناتالي السماعة وتنهدت بعمق قبل أن تغادر المكتب ومن ثم تذهب والسائق إلى المستشفى.

لقد تعمدت هذا الصباح أيضاً مغادرة الغرفة بعد مغادرة روبرت للمنزل فهي لم تكن راغبة برؤيته ولا باطلاعه على نيتها بعودتها اليوم إلى واشنطن.

عمتها كانت متعبة ومتوترة وكأنها منزعجة من أمر ما تكتمه بداخلها. حاولت ناتالي تهدأتها والتطبيب من خاطرها لكن محاولاتها لم تنجح ورأت أن الممرضات أخذت يعاين عمتها كل نصف ساعة وابتسامتهن المطمئنة لا تخبر ناتالي بشيء.

أخذت الغيوم تتلبد في السماء منذرة بعاصفة قريبة وبدأ الثلج يتساقط منذراً ناتالى بضرورة الاسراع بالعودة

إلى واشنطن وفق مخططاتها قبل أن تعلق هنا لفترة لا يعلمها الا الله.

إنحنت فوق عمتها وقالت:

«عمتي... أنا مضطرة للرحيل اليوم».

«لا» صاحت العمة بقوة وهي تتمسك بيد ناتالي بشدة:

«لا تتركيني نانا - ليس مجدداً... أرجوك لا تتركيني».

«أرجوك عمتي» توسلت بعمق كارهة نفسها لاضطرارها لفعل هذا:

«أعدك أنني سأعود لرؤيتك بنهاية الأسبوع القادم...» وعدت بصدق:

«أرجوك حاولي أن تفهمي ان عندي إرتباطات مهمة. ولا أستطيع البقاء هنا لأكثر من هذا».

«لا أريدك أن ترحلي نانا...» أخذت الدموع تنحدر على الوجه الحزين وجلست ناتالي قربها وقد ملأ اليأس والحزن نفسها وأخذت عمتها في حضنها.

«أحبك عمتي» قالت بصدق ينبع من أعماق نفسها وللمرة الأولى منذ سنوات طويلة طويلة:

«لا أريد أن أتركك هنا. سيزورك روبرت وأنت تعرفين أنه سيفعل. وسأعود بنهاية الأسبوع...»

«كلا، لن تعودي» همست المرأة المسنة بحزن

عميق:

«سترحلين مجدداً وتنسي كل شيء عني!»

شدتها إلى صدرها وقالت:

«لا تبكي عمتي - أرجوك لا تبكي - لا أستطيع تحمل دموعك».

«أعرف أنك بلا شك تكرهينني» قال الصوت الضعيف من بين الدموع:

«آه، لكن عليك مسامحتي نانا! عليك ذلك! لا أستطيع الاستمرار بالعيش مع شعوري الهائل بالذنب الذي اقترفته بحقك! أنا - أنا فقط لا أستطيع».

«أنا سامحتك» قالت ابنة شقيقها بقوة:

«بالطبع قد سامحتك».

«كل هذه السنوات» عادت سابرين للانتحاب مجدداً وأصابعها تشد ناتالي إليها بقوة كأنها تخشى عليها من الابتعاد:

«كل هذه السنوات كانت تأكلني نانا، تأكلني وتتآكلني حتى لم يعد بإستطاعتي التحمل لاكثر من هذا ناتالي».

«شش» هدأتها ناتالي ودموعها تنحدر على خديها من شدة عمق شعور الذنب الذي كان يخنق عمتها.

«شش، لم يعد كل هذا يهم الآن. لا شيء يهم سوى تحسنك وعودتك إلى صحتك».

«آه. لكن هذا يهم» قالت بانتحاب وهي ترتعش:

«لقد خذلناك جميعاً بأسوأ طريقة واكثرها قسوة! أنا، آل ستابلتون، روبرت... يا للجريمة المروعة التي ارتكبناها بحقك نانا، يا للجريمة التي لا تغفر! طفل، فليسامحنا الله، طفل إستعملناه لتحطيم طفلة أخرى عاجزة وضعيفة آه يا الهي» شهقت بدموعها وجسدها الصغير يرتعش بقوة:

«آه، طفل روبرت - حفيدي - جعلناك تقتليه بدافع الكبرياء اللعين! ولا أي عذر على هذا الكون يبرر هذه الجريمة! ولا أي شيء... أنا المسؤولة عن هذا... أنا...»

شيء هائل كان يمزق اوصال عمتها. شعرت ناتالي بهذا بذعر وهول وهتفت:

«عمتي - بحق السماء لا تموتي - بحق السماء - إسمعي أنا لم أفعل ذلك - لم أتخلص من الجنين - عندك حفيد يا حبيبتي - حفيد رائع صحيح الجسم وساحر في الثامنة من العمر».

ثم كل شيء تفجر حولها صوت الآلة الموصولة بطرف عمتها إرتفع وإندفع سيل الممرضات إلى السرير وادارت هي عيونها بذهول ورعب في الغرفة وتجمدت كل اواصلها وانشلت حين رأت الشكل الطويل الداكن الذي كان يقف اسفل سرير عمتها. كان يبدو مذهولاً،

مصعوقاً ولون وجهه كلون وجوه الموتى وعيونه كالتماثيل.

رفعها احدهم من قرب سرير عمتها واجلسها على الكرسي فيما أخذ الممرضون والطبيب يهتمون بعمتها.

لكن شيئاً من كل هذا لم يقطع تشابك نظراتها وروبرت.

لقد سمع ما قالته والآن هو يعرف كل شيء. لقد دخل الغرفة بصمت وسكون كعادته وسمع كل كلمة نطقت بها هي.

حملها أحدهم متمتماً شيئاً ما بأذنها وأجلسها بطرف الغرفة بعناية وبعد الاعتذار بقيت وحدها والصدمة تهز أعماقها.

متى انضم روبرت إليها، هي لم تعرف فقد وجدته فجأة جالساً بقربها ويده تمسك بيديها. لم يتكلما ولم تحاول الابتعاد عنه وعقلها وقلبها بحالة شلل كامل إلى أن وصل الطبيب بعد دهر وربت على كتفها بهدوء.

«لا بأس، كل شيء على ما يرام آنسة شالسي. عمتك بخير. لقد مرت بنوبة قلبية جراء تعرضها لصدمة عصبية كبيرة كما يبدو. الخطر قد زال الآن وهي ترتاح بعد المخدر الذي اعطيناها إياه وستظل كذلك ليومين آخرين فلا داعي للقلق».

رفعت ناتالي نظرها إليه ولم ترى شيئاً ثم حركت

عيونها إلى جهة سرير عمتها حيث عاد صوت الجهاز إلى طبيعته وأعادت نظرها إلى وجه الطبيب المطمئن ثم نظرت إلى يديها المتكورتين داخل يدا روبرت وفجأة أدركت وكسطوع البرق أن لا شيء يهم، لا نكران عمتها لها حين كانت بأمس الحاجة إليها، ولا رفض روبرت لها وهي في احلك أوقاتها ولا كلمات والدته القاسية القاتلة لها، لا شيء من كل هذا يهم ما يهم حقاً أنها اخطأت. بعدم تصميمها على مبادئها بعدم إصرارها على الوقوف بوجه الجميع واظهار حقها وحق طفلها. لو فعلت ذلك لما حدثت سنوات العذاب والكره الثمانية هذه. لو فعلت لما عاشت عمتها والذنب يخنقها. جيمي كان حياً يرزق وبأحسن صحة وسعادة. الطفل المرفوض من كل من حوله بسبب خوفهم من قوته لا يزال حياً، لو انها بقيت لو انها حاربت لما تكونت سنوات المرارة والذنب والعار هذه ولكانت سنوات صافية صادقة وعادلة.

رفعت عيونها مفتشة عن عيونه ووجدته يحدق بها بغموض. ورفعت ذقنها بكبرياء صارعت كثيراً للحصول عليه متحدية إياه.

«هل هو طفلي ناتالي؟» سألها بعمق.

لم تجيبه، لم تستطع أن تفعل. الحقيقة كانت عالقة بشدة في حلقها ونهضت وسارت بترنح إلى قرب سرير

عمتها ووقفت وأخذت تحدق بالجسد الضعيف المسترسل بالنوم.

كل هذا كان بسببها هي! عنفت ناتالي نفسها بشدة. ما كان عليها الهروب قبل سنوات! ما كان يجب أن تسمح لآل ستابلتون اللعناء بتسميم علاقتها الدموية بعمتها! وما كان عليها أبداً التفكير بالابتعاد عن سرير عمتها هذا وهي تدرك بأعماقها أن العمة الحبيبة المسكينة لم تكن مستعدة لفراق آخر!.

الدموع التي إنهمرت من عيونها منعتها من الرؤية وأثقل الشعور بالذنب كاهلها. ما كان عليها التفكير بترك عمتها وهي بهذه الحالة! فهي كانت أماً لها منذ سنتها الأولى!.

روبرت هو الذي كان يدفعها للرحيل مجدداً، إعترفت بمرارة! روبرت وقوة انجذابها نحوه رغم كل المرارة والازدراء المتأصل بداخلها نحوه والذي نما وترعرع طوال السنوات الماضية.

«إسمعي...» قال وهو يقف خلفها دون أن يلمسها ونبرة صوته توضح مدى الصراع الذي يبذله للسيطرة على أعصابه:

«... لا نستطيع القيام بأي شيء آخر لها اليوم... العاصفة في الخارج تزداد. فلنعد إلى المنزل قبل أن تزداد حدتها...»

المنزل!... منزلها وهو بعيد الاف الكيلو ميترات عن هنا إقتربت بحذر من سرير عمتها وطبعت قبلة على وجنتها وهمست من بين دموعها:

«أحبك، عمتي». ثم استقامت وتسلحت بقناع الجليد مجدداً وهي تغادر وروبرت الغرفة.

العاصفة كانت تزداد فعلاً مما اضطر روبرت لتركيز كل انتباهه على الطريق أمامه وهما بطريق عودتهما إلى القصر.

حالما وصلا سارعت ناتالي بالتوجه إلى السلالم على أمل التهرب مما سيحدث فور دخول روبرت المنزل. لكن محاولتها هذه لم تنجح وسمعت خطوته الثقيلة خلفها مباشرة.

كلمتين فقط نطقهما وهما:

«إلى المكتب»

فطأطأت هي رأسها وسارت امامه إلى هناك وخلعت معطفها قبل أن تجلس على احد الكراسي الجلدية الضخمة والمقابلة للمدفأة التي كانت النار تشتعل داخلها مرسلة الدفء بالغرفة ولكن ليس بداخل ناتالي الذي كان كالجليد البارد.

تبعها روبرت ومزاج غامض واسود ورمى بمعطفه على الكرسي ثم جلس على الكرسي المواجه لها.

«هل هو طفلي؟» كرر السؤال الذي تركته هي بلا

جواب في المستشفى.

ضحكت بقسوة ابعد ما تكون عن المرح وقالت:

«بالنسبة لمعظم الآخرين لا» قالت متذكرة الاتهامات المروعة التي رماها بها والداه ومتذكرة التحديات حول معرفتها لهوية والد الطفل كما قالت والدته، وتذكرت الغضب والعدائية والغموض والذهول التام حول ما كان سيحدث لها، وألم الرفض يملأ روحها الصغيرة بالذعر والخوف حول مستقبلها وما عليها أن تفعله وهي بعد في السابعة عشر ربيعاً وساذجة ووحيدة تماماً.

«ليس هذا ما سألتك إياه» قال بحدة والغضب يحول عيونه إلى قطعتين من الجليد:

«أنا سألتك إن كان لي ولك إبن أنا لا أعرف شيئاً عنه».

مجدداً ضحكت بقسوة:

«كلا لا تملك إبناً لا تعرف شيئاً عنه» قالت ورفعت رأسها إليه بتحدي:

«مع أنه من الممكن ان عندك إبناً كنت تعرف مرة عنه - والذي - ولمعلوماتك طلب مني التخلص منه وهو بعد جنين فقط للمحافظة على إسم وسمعة العائلة».

«ما الذي تتحدثين عنه؟» سألها بذهول:

«أنا لم ولن أسمح لأية امرأة تقوم بقتل جنينها وهو بعد داخلها - مهما كانت الظروف والملابسات».

«حقاً؟» نهضت واحتقارها له وحقدها عليه كالبركان داخلها لقدرته على الكذب - حتى على نفسه وتظاهره بكل هذا الذهول والانصعاق:

«إذن الشيك الضخم الذي اعطوني إياه منك لإجهاض طفلك به لم يكن له علاقة بك، اليس كذلك؟» نهض روبرت كالصاعقة على قدميه وامسكها بعنف وادارها لمواجهته وهو يزأر:

«انتظري للحظة... أنا لم اكتب لك أي شيك! مجير ام لا! ولهذا توقفي عن الادعاء بأنني مجرم بلا احساس يدفع لقتل الاطفال الابرياء!».

«أنت هكذا بالضبط روبرت».

«إسمعي ناتالي...» قال واصابعه تنغرز بكتفيها بحدة وغضب هائلين:

«لن أسمح لك بمحادثتي بهذه الطريقة! اللعنة عليك! لقد عبدت الارض التي كنت تسيرين عليها».

«تعرفين انني اعبد الارض التي تسيرين عليها نانا».

لقد صدقت هذه الكلمات الحارة فيما مضى لكنها لن تفعل ذلك مجدداً.

«ارفض مناقشة هذا» اخبرته وهي تنتزع نفسها منه وتأخذ نفساً عميقاً لتهدئة بركان غضبها.

اخذ بدوره نفساً عميقاً لنفس السبب ثم قال بصوت هادىء بطيء:

«هل الصبي الذي تخفينه في مكان ما في أرض الله الواسعة هذه ـ هو ابني ام لا؟»

لا! ارادت أن تصرخ بأعلى صوتها لا، لا الآن ولا غداً!

ظلت تحدق بالنار وعيونها تقدح شرراً وبداخلها مرارة السنوات السابقة كلها عادت لتظهر الى السطح حاملة معها كل آلامها وتحملها والعذاب الذي مرت به حتى تمكنت من تأسيس عمل ومصدر رزق ثابت لها ولابنها. وفكرت بالانكار، بالانكار عليه حقه بابنه عقاباً له على إطلاقه هذا السؤال وحتى مجرد تفكيره بذلك!.

ولكن لماذا تفعل هذا؟ لماذا تكذب بشأن نسب جيمي؟ جيمي هو ابنه وهي كانت فخورة بأن تكون والدته... مهما كان شعور والده ودوره بهذا.

رفعت نظرها اليه والكره واضح داخل عيونها اللامعة وقالت عبر اسنانها المصطكة:

«أجل، إنه إبنك ـ مع كل عدم الاكتراث الذي يشعر هو به لهذا والحمد لله».

ردة فعله ادهشتها، فهو لم ينعتها بصفة كاذبة ولم يطالبها بدليل حسي يثبت اقوالها ولم يسألها عن كيفية معرفتها لهوية الاب الحقيقية، بل اخذت تراقب لون الحياة ينسحب من وجهه بطريقة مروعة لم يسبق لها وشاهدت مثيلاً لها من قبل.

«استطيع أن أخنقك لهذا ناتالي...» همس بحشرجة عميقة:

«استطيع أن اضع اصابعي حول عنقك الجميل هذا وأسحب الحياة اللعينة منك! كيف تجرأت واخفيت عني ابني الذي هو من لحمي ودمي وابقيته بعيداً عني كل هذه السنوات؟».

شعرت بالإرتعاش من شدة العنف الذي كان يعتصره فتراجعت إلى الوراء بترنح وسارعت يداه لتطبقان على عنقها برقة قاسية.

«اتشعرين بالخوف؟» قال وعيونه كالجحيم:

«يجب ان تكوني كذلك يا معذبتي الصغيرة. يا الهي! يجب أن تكوني كذلك».

الدفاع العدائي برق داخل عيونها وهي تنظر إليه بتحدي والمرارة العميقة التي تشعر بها نحوه تظهر على السطح بينهما، مبقية إياها متصلبين وعدائية الثمانية سنوات تبرق بينهما بشدة.

«إنه إبني روبرت» قالت وتملكها الواضح جعله يرتعش:

«ابني انا! أتسمع؟! الجزء الوحيد الذي قمت انت به بهذا الشأن كان مجرد الحصول على المتعة الحيوانية الشهوانية!»

كفه الذي ضغط بشدة وعنف على وجنتها جعلها

تشهق من الألم وقال:

«لا تحطي أبداً من قدر وجوده بهذه الطريقة! أبداً!» وعيونه تصبان كل إحتقاره لها داخل عيونها.

إبتعد عنها وادار ظهره لها فيما هو يحاول بصعوبة أن يتحكم بأعصابه ومشاعره وقد جرتها كلماته إلى هدوء يقترب من العقلانية.

«أنا ـ آسفة» همست بألم كان محقاً بهذه النقطة الوحيدة فقط. لا يجب عليها أن تحط من قدر جيمي بهذه الطريقة.

واجهها مجدداً وعضلات وجهه متصلبة ثم ابعد نظره عنها مجدداً ووضع يديه بجيوبه واخذ يخطو داخل الغرفة كعادته حين يكون بركان المشاعر مضطرم داخله.

«إتصلي به» قال فجأة وهو يستدير ليواجهها وقد عاد التحدي الخطر يلمع داخل عيونه مجدداً.

توسعت عيون ناتالي وهتفت بغرابة:

«ماذا؟»

«إتصلي به» قال وهو يجرها من ذراعها ويجلسها بقسوة على الكنبة المجاورة للهاتف:

«إتصلي بابننا ـ عندك رقم تواجده بالطبع!» رمى جهاز الهاتف بحضنها وتابع كالنمر:

«إفعلي ذلك الآن! اريد أن أسمع صوته».

ارتعشت ناتالي حتى أخمص قدميها مدركة أنه كان

www.elromancia.com

يمسك غضبه بشعرة صغيرة وأنه قد يعثر بها حتى اذا رفضت، حركت بأصابع مرتجفة الرقم التي تحفظه غيباً والذي سيصلها بمنزل أماليا.

الدموع كانت محتقنة داخل حنجرتها. ولحظات وسمعت صوت أماليا على الخط الآخر.

«مرحبا، أماليا» حيتها بصوت مخنوق أجبرتها على النطق وعيونها تنظر إلى روبرت للحظة قبل أن تبتعد عنه:

«كيف ـ كيف حال جيمي؟»

«يسحب وطوني الحياة من عروق مارك».

قالت أماليا بمرح دون أن تنتبه لنبرة صديقتها واضطرابها.

«لقد ذهبوا لاصطياد السمك اليوم. ومارك المسكين تعثر وسقط في المياه وتستطيعين تصور ما فعله الولدان بعد ذلك».

«هلا اعطيتني جيمي أماليا لو سمحت؟» قالت ناتالي دون أن تتمكن حتى من الابتسام.

إنتبهت صديقتها للتوتر الذي كان يلون صوتها وسألتها بإهتمام:

«ناتالي هل هناك خطب ما؟»

«لا، لا» طمأنتها ناتالي وعيونها تتوسع لتمنع نفسها من البكاء:

«كل شيء على ما يرام! فقط أرغب بالتحدث مع جيمي».

«سأناديه لك...» قالت أماليا وسمعت ناتالي صوت صديقتها وهي تنادي جيمي واطبق شعور الكارثة على جوانح ناتالي.

«إذن جيمي هو الحبيب الوفي اليس كذلك؟»

قال روبرت بحنق وغضب:

«أيتها اللعينة! كنت تتحدثين مع ابني من هاتفي ومن منزلي وأمام سمعي دون أن تخبريني بذلك! أيتها اللعينة الحقيرة!»

«مرحباً ماما» سحبها الصوت المشرق والتوتر الهائل داخلها أخذ يتحول إلى امواج من الألم اخذت تجتاح رأسها:

«هل أخبرتك أماليا عما حدث للعم مارك؟»

سأل جيمي وهو يقهقه بسعادة دون أن تعتريه أدنى فكرة عما كانت امه تمر به وتابع:

«سأخبرك لقد كان ذلك اكثر المواقف المضحكة التي شاهدتها وطوني بحياتنا كلها... لقد انزلقت قدمه بحذائه الرياضي الجديد على الأرض الزلقة وقد حذرته من ارتداء هذا الحذاء بالذات لكنه لم يستمع لي واووف! فوقع في البحر وانتشر الرذاذ علي وعلى طوني وعلى الأسماك والميناء وما...»

لم تعد تسمع المزيد لأن روبرت إنتزع السماعة من بين يديها وأخذ يستمع للمرة الأولى لصوت ابنه، ومجدداً رأت ناتالي اللون المتحول على وجهه والمشاعر تتصارع داخله.

ثم رأت وقلبها ينتفض ويكاد ينفجر وروبرت يعيد نظرته المتهمة اليها، رأت الدموع الحارة تلمع داخل عينيه وفمه المتصلب خير دليل على المشاعر المتفجرة التي قد إجتاحته.

اعاد لها السماعة وراقبته وهو يبتعد بخطواته كالمخمور ويرمى بنفسه على أقرب كرسي ويضع رأسه بين يديه.

«على كل حال» عاد اليها صوت جيمي المشرق:

«لحسن الحظ كان هناك ملابس اضافية له في الحقيبة. فارتداها وعدنا إلى المنزل دون أن نجرؤ على مجرد الابتسام في طريق العودة خوفاً من أن يرمينا العم مارك خارج السيارة:

«أمي اخبريني الآن متى ستعودين إلى المنزل؟»

قفزت ناتالي من مكانها لسؤاله هذا ولم يسعفها عقلها المخدر برد مناسب فنقلت عيونها إلى روبرت وصارعت لاستعادة هدوئها. تحرك روبرت من مكانه وتوقف قلب ناتالي للحظة عن النبض لاعتقادها أنه سيأخذ السماعة منها مجدداً مطلعاً جيمي على هويته

ومخبراً إياه كم كاذبة ولعينة هي والدته! لكنها سمعت صوت كؤوس زجاجية وادركت أن روبرت يحضر لنفسه بعض الشراب.

استعادت سيطرتها وهزت رأسها بشدة مبعدة غمامة الخدر عن تفكيرها وقالت بصوت مخنوق:

«جيمي إسمع... أخشى أن الثلج يزداد هنا ولا ـ لا استطيع حقاً أن أعرف موعد عودتي. لكني سأتصل بك لاطلعك على ذلك. أنا مشتاقة جداً لك يا حبيبي».

قالت والدموع تهدد بغزو وجهها:

«آسفة للتأخر».

«لا بأس» قال دون أن ينجح تماماً بإخفاء خيبته:

«اعتقد ان على أماليا والعم مارك تحملي لبعض الوقت الإضافي».

«هذا ما أعتقده أنا ايضاً إلى اللقاء يا حبيبي انتبه لنفسك جيداً».

«وأنت ايضاً تصبحين على خير ماما».

«تصبح على خير حياتي».

لحظات طويلة مرت قبل أن تضع السماعة مكانها وتلتفت لتجد روبرت قد عاد إلى كرسيه وبيده كأس شراب.

اخذت نفساً عميقاً وهي تعض على شفتها السفلى ثم نفذت أمره الصامت ومشت نحو الكرسي المقابل وهي

تدرك ان هذه هي مجرد البداية.

«ما هو! إسمه الكامل؟» سأل دون أن يرفع نظره عن الكأس بين يديه.

«جيمي... جيمسون روبرت شالسي» قالت بهدوء.

«حسناً، اعتقد أن هذا شيئاً على الاقل. ما هو تاريخ ميلاده؟»

«١٤ نيسان ١٩٨٦» قالت.

طأطأ برأسه مستوعباً هذه المعلومات. رفع كأسه وجرع محتوياته كلها دفعة واحدة. وسيطر الصمت بينهما وادركت ناتالي انه يمر بأعنف الصدمات التي مرت به بحياته.

«كيف يبدو؟»

غسلت الدموع وجهها وهمست:

«انه ـ مثلك تماماً»

«يا اله السماوات» همس بحرارة:

«ما الذي فعلته بك بحق السماء منذ ثمانية سنوات وجعلك تبعدين ابني عني كل هذه المدة؟»

رفعت عيونها الباكية اليه والألم يلتمع داخلها:

«لكني كتبت لك رسالة روبرت! انت تنظر إلي وكأنني ارتكبت جريمة لا تغتفر بحقك... لكني كتبت لك رسالة اخبرك بها انني انتظر طفلك! انت لم تنس هذا بالطبع ـ لقد توسلت اليك لتعود لتساعدني! لكنك

www.elromancia.com

لم تزعج نفسك حتى بإرسال الرد».

«رسالة؟» هتف بذهول:

«أنا لم أستلم اية رسالة منك».

«آه - توقف عن إدعاء البراءة روبرت ستابلتون».

قالت بحدة:

«بالطبع انت قد استلمتها!»

«هل انت واثقة من انك قد ارسلتها؟»

«أجل بالتأكيد أنا واثقة!» ردت بتأكيد.

فهي تذكر جيداً ذلك اليوم لقد كتبت له الرسالة بدموعها وتوسلته العودة ومساعدتها لأنها لا تعرف ما الذي عليها أن تفعله! ذهبت إلى مكتب البريد بيوم ثلجي عاصف واودعت الرسالة بصندوق البريد أجل إنها واثقة من ذلك كثقتها بوجودها هنا

«أجل لقد أرسلتها» قالت بثقة:

«وأنت قد استلمتها».

«أنا لم استلم اية رسالة منك ناتالي!» قال بحدة:

«لقد انتقلت من مقاطعة أونتاريو حيث بقيت لمدة شهر واحد وذهبت إلى فانتا ومنها الى اماكن اخرى متفرقة حيث كانت فروع الشركة التي تمرنت بها. فكيف تكونين اكيدة انني قد استلمت الرسالة؟»

«انا اعرف ذلك وحسب» قالت دون ان تفصح له عما قالته لها والدته ووالده من أن روبرت يشك بأن يكون

الطفل طفله من علاقته بفتاة من مستواها.

«حسنا...» قال بنفاذ صبر:

«اذن لنفترض ان هناك رسالة وانك قد ارسلتها كما تؤكدين الم يخطر ببالك للحظة أن هناك احتمال الا تصلني رسالتك هذه؟»

«كلا» قالت بثقة غير مصدقة أن هذا كان يحدث فعلاً.

«فكري بهذا ناتالي» حثها بأناة:

«هل سبق لي وطوال سنين معرفتنا أن خذلتك؟»

«أنت فارسي المغوار وأنا حبيبتك إلى الأبد» تردد صدى صوتها المراهق بأفكارها ومعها صوته القائل بصدق:

«انت سبب وجودي وكل حياتي نانا».

كل هذا كان خطئاً - كل شيء كان خاطئاً منذ البداية. حبهما ونتائجه الهدامة.

لكن ما كان عليها الرحيل. هذا ما تعرفه وتدركه هي الآن. كان عليها الصمود وإجبار روبرت على تحمل مسؤولياته بدلاً من ترك زمام الأمور لوالديه المتعسفين.

«آسفة» قالت بهدوء الآن وقلبها يتصلب ضده مجدداً:

«أنا لا أصدقك وكل هذا لا يهم الآن، لأن وقت تصحيح الخطأ قد فات - فات منذ زمن بعيد» تابعت

بإرهاق:

«لقد كونا طفلاً بيننا روبرت. لكنك ليس والده فعلاً، وفيما يتعلق بجيمي فهو يعيش حياته بهناء وسعادة بدونك سيحيا بدون أن يتعرف عليك حتى».

«آه، هذا ما تعتقدينه انت لا؟» قال بخفة وهو يقترب منها بخفة كالفهد المستعد للانقضاض على فريسته وامسك بقوة بذراعيها والشرر يتطاير من عينيه:

«اذن دعيني اخبرك ايتها اللعينة الانانية الصغيرة ان ابني سيعرف من هو والده. انت تدينين لي بثمانية سنوات من حياتة ثمانية سنوات لعينة! وسأستعيدهم عليك اللعنة! وسأستعيد كل لحظة من لحظات كل سنة! وسيكون إبني هنا تحت سقفي بظرف اسبوع واحد من الآن! وتستطيعين انت أن تذهبي إلى الجحيم فأنا لا اكترث لذلك مقدار ذرة».

اذا لم يكن بتهديده الشديد هذا من إثارة كل رعبها فقد فعلت قبلته التي تلت ذلك. فقد سحقها وهو يلصقها به ويهوى على فمها بوحشية هائلة سرقت انفاسها وجردتها من كل قوتها.

«لا تفعل...» همست بحرقة حيث رفع شفاهه عنها للحظات:

«ارجوك لا تفعل...»

«ولم لا؟» سألها بإغاظة:

«كنت تشرقين بقبلاتي وتتجاوبين معها بطريقة اشك بوجود مثيلاً لها عند نصف نساء الارض» لامس شفاهها بفمه بخفة ورقة سببت لها الارتجاف:

«من المستحيل ان كل ذلك التجاوب قد مات! انا لا اصدق ذلك».

وكان فمه على شفاهها مجدداً بطريقة مختلفة تماماً هذه المرة. بعنف ورقة بقوة واكتشاف وحركت قبلته الحارة هذه غصباً عنها سيل المشاعر الخابية داخلها والتي اعتقدت ان جذوة نارها قد خبت منذ سنوات وسنوات.

«ارجوك، روبرت» توسلت وشفاهه تقترب من اذنها:

«لا تفعل هذا بي مجدداً».

«اتعتقدين انني اريد ان اشعر اتجاهك بهذا؟» قال وهو يرفع رأسها اليه ويحدق بجذوة الرغبة التي اخذت تلمع بأعماق عيونها:

لقد ارتكبت أسوأ وأبشع جريمة تقترفها المرأة بحق الرجل بإخفائك أمر وجود إبني عني! لكن، وليساعدني الله ناتالي ـ أنا ـ أنا لا ازال أرغب بك ـ أرغب بك منذ اللحظة التي شاهدتك بها تنزلين من القطار بتلك المحطة» غضب لهاثه كان يشعل خدها:

«وهذا...» قال ومرر شفاهه بخفة على فمها متابعاً:

«... هذا سيكون وسيلتك الوحيدة للنجاة ناتالي.

www.elromancia.com

أبقي جذوة رغبتي نحوك مشتعلة وسأدعك تحتفظين بإبنك. والا فإنني سآخذه منك! ولن تقع عينك عليه ابداً بعد ذلك».

همجية تهديده تسللت إلى أعماقها وارتجفت فهو قادر فعلاً على تنفيذ وعيده. فالمال والسلطة دون ذكر القانون يسمحان له بذلك ويحققانه له. وجيمي! هل سيتمكن من إغواء الطفل بتحقيق كل امنياته واكبرها والتي يتمناها كل الاطفال الذين بمثل سنه؟ هي تعرف نقاط ضعف ولدها واسوأ نقاط الضعف هذه كانت إدراك جيمي أنه لا يمتلك والداً كغيره من الاطفال.

«سأكرهك دائماً لهذا» صاحت وهي تصارع غيوم العاطفة الجامحة التي اخذت تهدد بإغراقها وشفاهه تلامس وجهها وفمها.

«اكرهيني اذن» قال بهدوء:

«لأنك ولو عشت وبلغت المئة فإنك لن تحتقريني بنصف الدرجة التي احتقرك وازدريك بها ناتالي».

أطبق على فمها مجدداً قبل أن يبتعد عنها ويقول بنبرة آمرة:

«أحضري معطفك».

حدقت به بعيون مذهولة وقالت:

«ماذا؟»

«أحضري معطفك» قال وهو يرتدي معطفه.

«لكن ـ لكن ـ لماذا...؟»

«لأننا سنذهب لإحضار إبني إلى هنا».

ضربة كالصاعقة كانت كلماته بالنسبة لها:

«لكن روبرت» صاحت:

«لا نستطيع الذهاب إلى واشنطن بهذا الطقس! بحق السماء...»

ادارته بقوة ليواجهها وتابعت:

«إنتظر للغد» توسلته بحرارة.

من الواضح أنه لا يزال تحت تأثير الصدمة وهو لا يفكر بوضوح دون شك.

«قد يتوقف تساقط الثلوج غداً وستعود الطرقات إلى حالتها السالكة. ارجوك! إنتظر للغد».

نظر اليها واستمع لكلماتها المتوسلة ثم قال:

«أحضري معطفك ناتالي. سنذهب الآن».

بجنون غادرا المنزل بليلة العاصفة تلك وكان المطر ينهمر بغزارة على زجاج السيارة بطريقة تجعل الرؤية بالغة الصعوبة. لكن روبرت كان يركز عيونه الصقرية على الطريق امامه ويسير بتصميم كالجبال. لم يتكلم أي منهما هو كان متجها إلى هدفه متحدياً كل العوامل الجوية السيئة جداً وهي كانت اكثر من خائفة للتكلم وعيونها مركزة على الطريق الزلقة امامهم وقلبها على لسانها معظم الوقت وهي تراقب تستمع وتشعر بأقل

صوت تصدره عجلات السيارة على الأرض التي تحولت إلى انهار من المياه المتدفقة.

حين وصلا إلى أطراف الضاحية خفت حدة المطر قليلاً وحتى الرياح خففت من عويلها الناحب وتمكنت ناتالي اخيراً من الاسترخاء قليلاً والاستغراق بأفكارها المضطربة.

إصرار روبرت الكامل على انكاره لرسالتها أمر يحيرها - لأن هذا لا يخدم هدفاً معيناً الآن، اللهم اذا كان يريد أن يحتفظ بماء الوجه.

لكن لسبب ما أدركت أن هذا ليس هو السبب. في الماضي روبرت الذي كانت تعرفه كان يتحمل مسؤولياته سواء اكانت صغيرة أم كبيرة، متحملاً عقابه عن كل الأخطاء الصغيرة التي كان يقوم بها بقوة وشجاعة. وهكذا فإذا كان قد استلم رسالتها فكان سيسرع بالعودة إلى المنزل على جناح السرعة. بتردد ام لا، روبرت الذي كانت تعرفه كان سيعود اليها بسرعة لو مهما وقف بطريقه من عقبات.

وتساءلت بألم هل ظلمته وكانت هي السبب بالاجحاف بعدم محاولتها الاتصال به ثانية طوال كل السنين الماضية؟ تذكرت كم كانت الفكرة تجول برأسها في أول فترة هروبها من آشلي وقد خطت مرة له فعلاً رسالة قصيرة لكن بدلاً من أن تضعها في صندوق البريد

فقد وضعتها في سلة المهملات. فرغم كل الصعوبات والمشاق التي تعرضت لها فور هروبها بتأمينها لعمل ولمكان يأويها هي وطفلها الذي كان رضيعاً الا أن كبرياءها كان دوماً يمنعها من محاولة الاتصال بروبرت مجدداً. وقد ساعدها المبلغ الذي اعطاها اياه والده المتخلص من الطفل على تأمين مكان إقامتها والبدء بتجارة صغيرة كانت كافية لتقيها التسول والحاجة.

«لقد إتصل بي ابني هذا اليوم» قال لها والده في ذلك اليوم المشؤوم:

«بدا مبتئساً من رسالة ما قد ارسلتها له وتدعين اشياء خاطئة وكاذبة عنه، وابني بالطبع ينكر كل ما تقوليه وتدعيه».

كيف من الممكن لها التصديق ان روبرت لم يتسلم رسالتها؟ لم يعرف اي شخص برسالتها هذه سوى هي نفسها ولكن...!

لقد شاهدت وهي تضع رسالتها بصندوق البريد جان طومسون السائق الخاص لوالد روبرت الذي اخذ يرمقها بنظرات غامضة وهي تطلب من موظف البريد إرسال الرسالة إلى كندا. هي لم تهتم لهذه النقطة بتلك اللحظة لكن لسبب غريب غريب تذكرت هي الآن تلك النظرة الغريبة التي رماها بها جان هذا!.

هزت رأسها بقوة قائلة انها ستصاب بالجنون إذا ما

ظلت تفكر بهذه النقطة. لا شك أن روبرت يكذب ولسبب ما بشأن عدم استلامه للرسالة المصيرية التي كانت ستغير كل حياتها وتمحي هذه السنوات الثمانية من حياتها وحياة جيمي لو ان والده روبرت تصرف بطريقة أخرى واستجاب لرسالتها تلك!!.

الآن، ببطء وعناية تململت في مكانها محاذرة الا تجذب انتباه روبرت وادارت رأسها لتدرس بروفيل وجهه. كان لا يزال شاحباً وملامحه متصلبة متوترة، لكن الجاذبية كانت لا تزال هناك، تشع خلال طيات التوتر والقلق. قبل ثمانية سنوات كان هذا الوجه معتاداً على الاشراق بالبسمات والضحكات حتى بدون سبب ولمجرد رؤيته لها.

«انا سعيد، أحب البقاء معك» كانت كلماته دوماً كلما كان برفقتها. هي لم تشاهده يبتسم منذ لحظة وصولها إلى آشلي هو لم يبتسم مطلقاً.

للحياة طريقتها الخاصة بتغيير الأشياء، فكرت حتى هي لم تبتسم كثيراً بعد مغادرتها لآشلي وبعد وصولها مجدداً اليها الآن. بينما في الماضي كلما كانت برفقة روبرت لم يكن الضحك والابتسام يفارقها ولا للحظة واحدة فقط. كانا يضحكان، يثرثران، يتقاتلان يمارسان الحب... ألم الذكرى أخذ يسري في جسدها لتحسرها على الحب والثقة التي كانت بينهما فيما مضى.

هل سيدير روبرت القديم أو الجديد ظهره لمسؤولياته؟

مجرد رؤيتها له مع عمتها يعطيها الجواب الواضح. هو لن يتخلى ابداً عن مسؤولياته اتجاه أي شخص يرتبط هو به بأية علاقة.

هل كانت هي غبية لتصديق كلمات والده؟ أكانت غبية وعمياء وحمقاء كفاية لتصديق أنه من الممكن والمعقول أن يهجرها روبرت ويتخلى عنها بتلك الطريقة؟

إرتعشت وشدت اطراف المعطف حول جسدها. من غير الممكن ان يعرف والده بأمر الرسالة الا من روبرت نفسه. لا، أمرت عقلها بالتوقف عن التفتيش عن الاعذار لروبرت. فلا يوجد له اي مبرر. المبررات لا تتواجد له أصلاً.

توقف روبرت لتعبئة السيارة بالبنزين واحضر لها فنجاناً من الشوكولاتة الساخنة ناولها إياه دون ان يتكلم أو حتى دون أن ينظر اليها. وتابع الانطلاق مجدداً والجو الأسود الثقيل لا يزال يسيطر بينهما، وأخذت تفكر ناتالي بمنزلها، بمنزلها وجيمي والذي لن يكون ابداً منزل روبرت.

إرتعشت بوضوح والتفت روبرت للحظة نحوها.

«اتشعرين بالبرد؟» سألها بنبرة بلا لون.

هزت رأسها بنفيٍ دون أن تطيعها حنجرتها بالنطق وتابعت النظر عبر زجاج نافذتها. وعاد الصمت ليسيطر بينهما مجدداً وفرحت هي لهذا. فهي حقاً لا تملك أي شيء آخر لتتشارك بالحديث به مع روبرت. لا شيء ابداً.

غفت لبعض الوقت على صوت رتابة العجلات دون أن تنس حذرها من وجود روبرت قربها انطلاقها إلى المجهول الكامل الذي تخشاه كالموت.

فتحت عيونها بعد بعض الوقت ووجدت انهم قد وصلوا فعلاً إلى مدخل واشنطن.

«من أين الآن؟» سألها دون أن يلتفت نحوها وقد بدا مرهقاً وشاحباً.

ارشدته إلى العنوان بصوت بلا لون ثم عادت للصمت بعد أن عرف هو الطريق.

المطر هنا قد تحول إلى رذاذ خفيف والطرقات كانت مضاءة وواسعة فزاد روبرت من سرعة سيارته واكملت هي إرشاداتها ودخلا في الطريق الفرعي الذي يقع منزلها بآخره.

حالما وصلا غادرت ناتالي السيارة وهي تشعر بالخدر والشلل بكل أطرافها. إنضم روبرت إليها بعد لحظات ووجهه لا يزال يرتدي الصلابة والتصميم.

«جيمي ليس هنا» قالت وهي تفتح الباب:

«إنه الآن عند إحدى صديقاتي».

طأطأ برأسه وكأنه قد إستنتج ذلك مسبقاً. أضاءت ضوء المدخل وإتجهت نحو غرفة المطبخ.

«أقدر حصولي على فنجان من القهوة قبل التوجه للنوم ناتالي» قال بتصلب وقد ظنها متجهة إلى غرفة النوم.

نظرت إليه وقالت:

«أنا متجهة إلى المطبخ».

سار خلفها ودخلا المطبخ الصغير خاصتها والذي كان مرتباً وصغير الحجم كباقي غرف منزلها. كان روبرت ينظر حوله بامتعاض وادركت ناتالي أنه يفكر كم هو من غير الملائم لجيمي الإقامة بهكذا مكان. لكنها وجيمي كانا سعيدين بهذا المكان وارادت إخباره بذلك لكن الارهاق والتعب منعاها من فعل ذلك واكتفت بالتشاغل بتحضير القهوة.

جلس هو على الكرسي الصغير وقال فجأة:

«كم يبعد من هنا؟»

لقد شعرت طوال الرحلة أن أفكاره كانت مركزة على جيمي وسؤاله هذا يؤكد ذلك.

«ليس بعيداً» ردت:

«بعيداً عن هنا حوالي العشرة أميال».

طأطأ رأسه وقال بإرهاق:

«سأذهب لأحضره إلى هنا في الصباح».

«لا» صاحت ناتالي وهي تحدق به بذعر:

«ليس - ليس عليك أن تفعل ذلك. أ... أماليا ستحضر وإياه إلى هنا في الصباح. فالمحل يقع بنصف المنزل الثاني وهي تفتحه في التاسعة صباحاً وتحضر جيمي وابنها معها. ولهذا - فليس من الضروري ذهابك لإحضاره».

طأطأ روبرت برأسه وتنهدت بعمق أنه قد تقبل لنصيحتها.

من غير الممكن لها مجرد السماح لروبرت بإظهار نفسه هكذا في حياة جيمي. ليس بدون مقدمات وشروحات على الأقل.

«تفضل» قالت وهي تضع الفنجان امامه على الطاولة:

«القهوة. بعدها سنحاول النوم».

«كم هي الساعة الآن؟» سألها وكأنه على وشك الغياب عن الوعي من شدة الارهاق.

«الواحدة بعد منتصف الليل» قالت وعقلها مشغول بما ستقوله أو تفعله غداً.

جلست على الكرسي المقابل له وهي ترتشف فنجانها وتحدق بالطاولة الخشبية».

«ما الذي حدث لنا بحق السماء نانا؟» تمتم فجأة

رافعاً عيونه المتورمة نحوها:

«أين بحق السماء ارتكبنا الخطأ؟»

ملأت الدموع عيونها وهمست بصوت خافت:

«لا أعرف روبرت. أنا حقاً لا أعرف».

«يا الله» قال:

«إني ادير الأشياء وأفكر بها برأسي مجدداً ومجدداً دون أن اتوصل لشيء مطلقاً!»

«اذن لا تفعل ذلك» إقترحت بوهن ثم شعرت بالشفقة عليه لأن كل شيء كان فعلاً بفوضى عارمة.

مرت يدها لتلامس يده وقالت:

«من غير المجدي التفكير بكل ما حدث. اترك الباقي للغد، حتى يصفى ذهنك وتتمكن من التفكير بوضوح».

حدق بيدها بأصابعها الرقيقة وهي تلامس يده الكبيرة وتهدلت كتفاه بألم فعضت ناتالي على شفتها لتمنع نفسها من البكاء. لا، مهما كان ما حدث منذ ثمانية سنوات فهي تدرك تماماً أن روبرت قد مر بأصعب عذاب بحياته لرفضه لطفله. ولربما، هو كعمتها قضى السنوات الماضية هذه وشعوره بذنبه يقرض ضميره ويقض مضجعه.

«هيا» قالت بتنهد وهي تبعد يدها عن يده:

«لنخلد للنوم. تستطيع أن تستعمل غرفة جيمي ما دام هو خارجها»

www.elromancia.com

«كلا» قال ورأسه يهتز بشدة وعيونه تحدقان بها بتصميم:

«سننام بغرفة واحدة بما تبقى من هذه الليلة».

كلماته صلبتها ومنعتها من الحركة وحدقت به بذهول وعدم تصديق:

«أنا لن أنام معك» صاحت بجنون.

«ستفعلين» أصر دون أن يتحرك:

«أو انك لن تنامي أبداً. لا سبيل آخر لك ناتالي، أنا لن أسمح لك ابداً بالتسلل ليلاً لتسرقي ابني مني مجدداً وتختفي للمرة الثانية».

«لكن ـ هذا ـ هذا تفكير مجنون روبرت!» قالت وهي تشهق بدهشة:

«إلى أين سأذهب؟ منزلي هو هنا... وعملي! أنت لا تفكر بوضوح... إستعمل سرير جيمي وسأوقظك بالوقت الـ...».

«قلت أننا سننام سوياً» قاطعها بتصميم:

«الله يعلم...» تابع بتنهيد:

«أنا بحاجة لبعض الدعم الانساني بهذه الليلة، وبما أنك سبب هذه التعاسة الهائلة التي تشتعل داخلي فأنت وحدك المسؤولة عن التخفيف من ذلك». مجدداً العيون الجليدية إخترقتها والاتهامات كلها واضحة بأعماقها وتابع بقوة:

«النوم فقط. هو كل ما أريده إذا ما كان عقلك المعكوس يفكر بشيء آخر. النوم هو كل ما أريد من الاطمئنان إلى أنك موجودة بجانبي حتى أواجهه في الصباح».

تنهدت ناتالي وتراخت كتفاها باستسلام وقالت بتثاقل ووهن:

«النوم».

ثم وقبل أن تفكر للحظة اخرى بما كانت تفعله غادرت المطبخ متجهة إلى غرفة نومها. روبرت لم يكن يعرف ذلك لكن في الحقيقة هي كانت بحاجة يائسة اكثر منه للدعم الانساني الذي تحدث عنه. وهذه حاجة لم تشعر بها طوال السنوات الثمانية الماضية.

«غرفة الحمام من هناك» اشارت إلى باب صغير:

«سوف ابدل ملابسي فيما تغسل أنت وجهك ويديك».

استغرقت دقائق قليلة فقط لتخلع ملابسها ولترتدي قميص نومها الطويل. مرا بجانب بعضهما البعض وهي بطريقها إلى الحمام بعد خروجه هو منه لكنهما لم ينظران إلى بعضهما البعض.

غادرت الحمام بعد دقائق واندست بالسرير الى جانبه محاذرة أن تلمسه أو تقترب منه.

لكن ذراعه امتدت وقربتها منه ملصقة إياها بصدره

www.elromancia.com

الصلب.

«شكراً لك على هذا» تمتم بنعاس وفمه قرب شعرها الحريري:

«أعرف أن هذا كان طلباً مبالغاً به لكني بحاجة لك هذه الليلة، نانا، أنا بحاجة لك...»

وغرق بالنوم بهذه السرعة. ظلت ناتالي بلا حراك بين ذراعيه دون أن تصدق أنه قد استغرق بالنوم بهذه السرعة واخذت تشعر بضربات قلبه التي هدأت وبتنفسه الذي انتظم وادركت أنه فعلاً قد غرق بالنوم. ثم، وببطء أخذت تشعر بالاسترخاء وقد سرى الدفء بجسدها من جراء التصاقها به واغمضت عيونها واغرقها الارهاق والتعب بالنوم.

ثم استغرقت غفوتها هذه هي لا تدري، فقد أخذت تعود إلى وعيها ببطء وشعور عارم بالدفء اللذيذ يغزو جسدها.

فتمطت بتنهد ونعاس.

راقب روبرت حركتها هذه من مكانه قربها وهو متكىء على ذراعه ويدرس ملامحها الناعسة وجسدها الرائع. إنحنى على خدها الحريري وقبلها بخفة وتمتمت هي شيء ما مطالبة بالمزيد.

- ٩ -

فأعطاها ما تريد وأخذ يقبل انفها الرقيق ورموشها المغلقة ووجنتيها.

«نانا...» همس برقة

«روبرت...» تنهدت واستدارت نحوه وذراعيها تعانقان رقبته وتشده إليها.

ابتسم قليلاً وبرقة بنفس الرقة التي كانت تعود هي بها إلى الوعي واقترب بفمه منها وأخذ يرتشف بحنان غريب رحيق شفاهها الجائعة للحب وأخذت يداه تتحركان على جسدها إياها من القماش الذي يفصل بين جسديهما.

www.elromancia.com

استيقظت ناتالي تماماً حين شعرت بيديه على ساقها وشهقت:

«روبرت!» دون أن تكون واثقة تماماً سواء اكانت صاحية أم تحلم.

«شش» همس بخفة:

«لا بأس. انت تريدينني نانا، جسدك يخبرني بهذا، والله يعلم...» همس بعمق:

«انني أريدك بدوري وبقوة...»

غطى فمه فمها مجدداً مانعاً إياها من الاعتراض فيما اخذت هي تصارع رغبتها العميقة بالاستسلام الكلي له وقد أخذت ملامساته له تثير نيران رغبتها تماماً كما يحدث في الماضي.

آه، لا...» همست بعمق وقد أخذت أمواج المتعة تغرقها بلججها.

«لا أريد هذا» همست بارتعاش.

«بالطبع تريدين» اكد لها:

«هذا ما ولدت لأجله، أن تكوني لي بهذه الطريقة!»

حقاً؟ هل ولدت لتعرف فقط اللذة الساحرة للمسة هذا الرجل؟ وهي هنا بين احضانه ادركت أن ما يقوله كان صحيحاً لأن ولا أي رجل آخر كان قادراً على الاقتراب منها وفعل هذا لها. ولا أي رجل غيره منذ البداية.

«ستقتلني بهذا اتعرف؟» صرخت بيأس مما كانت تسمح بحدوثه بكل ذرة في كيانها.

«لكن يا لها من طريقة للموت يا حبيبتي» تمتم بهمس:

«ضائعة بين ذراعي الرجل الذي يعبدك بيأس وبقدرية».

«يا الهي ناتالي لكن عليك أن تلمسيني، كل هذا عذاب رائع رائع».

استيقظت في الصباح بإدراك عميق أن شيئاً جذرياً قد تغير بحياتها. تمطت بنعاس وشعور الدفء والمتعة لا يزال داخلها.

ثم تصلبت وقد لامست ذراعها جسد دافيء وعاري جعلها تتجمد للحظة. ثم ادارت رأسها ورأت روبرت ينام بسلام وهدوء قربها وعادت ذكرى ما حدث تغزو عقلها وتلون بالرعب خدودها.

«يا اله السماوات» قالت بصوت مخنوق وهي تحدق به بما الذي فعلته؟؟.

بدا مسترخياً وراضياً، تماماً كروبرت الذي عرفته منذ سنوات. انتفض قلبها وأخذت الدموع تتساقط بصمت من عينيها.

انها تحبه رددت بنفسها بألم. تحبه بعمق وقوة تماماً كما كانت دوماً وكما ستظل إلى الأبد. تحبه بكل ذرة

من وجدانها بكل لحظة من حياتها. معرفتها هذه تركتها تشعر بالوحدة والفراغ لأنها ادركت تماماً الآن. أنه مهما كان ما سببه روبرت لها من ألم وعذاب الا أنها لم تتوقف عن حبها له ولا للحظة واحدة طوال السنوات الثمانية تلك.

لكن هل يعني هذا أن عليها السماح له بالتسبب لها بأي ألم وعذاب وعليها مسامحته بعد ذلك؟ لربما ستفعل ذلك ردت على نفسها بمرارة وألم.

فتح عيونه والبريق الساحر داخلهما.

«لماذا؟» هتفت به.

إبتسم واتكىء على ذراعه محدقاً بها وقال ببساطة:

«أريد إبني، بأي ثمن لكنني أفضل أسهل وأمتع الاثمان. انت هو ذلك الثمن ناتالي. عبر الأم سأحصل على الإبن» قال ومد اصابعه ليداعب أطراف فمها المرتعش.

«انت ـ انت خططت لهذا؟» قالت بذهول لشدة خبثه إذا ما فعل.

«ما الذي تعتقدين انني كنت افعله طوال فترة الرحلة من آشلي إلى هنا؟» قال وعيونه تسخران منها:

«أنا لست أبلهاً ناتالي، مع انني اعرف جيداً أنك تعتقدينني كذلك. ألطف طريقة للحصول على إبني هي عبرك أنت. عليك أن تكوني بجانبي أنا حتى تجعلي

تقبله لي أسهل واسرع ـ لكلينا معاً».

قطبت بعدم فهم وقالت:

«لا أفهم كيف إغوائك لي سيكسبك ذلك الدعم».

«بالطبع تفهمين» قال بسخرية رقيقة ويده تلامس جسدها وشعر فوراً باستجابتها له وضحك برقة قائلاً:

«أترين!؟ أنت لي ناتالي! علي فقط ملامستك هكذا...»

وفعل ومجدداً تجاوبت معه بعجز:

«... حتى أجعلك راغبة بتنفيذ أي شيء مقابل الحب والمتعة!»

«ياه!» قالت باختناق:

«انا اكرهك».

«لكنك مستعدة لي في أي وقت» أعلمها بقسوة وهو يقبلها مجدداً بإثارة وغرقا سوياً ببحر الحب.

«انت لي الآن ناتالي» قال لها بعد فترة:

«تذكري هذا حين يعود جيمي إلى المنزل. فقد يعني هذا الفرق بين حصولك عليه او خسارتك له».

«لا تهددني روبرت» قالت بهدوء وهي تنزل من السرير وقد ادركت بعد ما حدث هذه الليلة انها له وانها كانت دوماً وستبقى له حتى لو لم يعد يرغب بها...

«انت لم تتغير كثيراً عبر السنين لا؟ لا تزال متوحشاً على صورة إنسان».

إبتسم واقترب منها وتمتم قرب فمها:

«وانت ايضاً لم تتغيري، يا معذبتي الصغيرة» قبلها بتلذذ وعمق وتابع:

«وستظلين هكذا إلى الأبد».

ضحك وابتعد عنها وقال:

«هيا إذهبي وارتدي ملابسك فلا أريد ان يصل إبني ويجد والدته هكذا».

«أنت ملعون روبرت أنت كذلك حقاً» تمتمت بجفاف وهي تتجه نحو الحمام.

«لست كذلك لكن إبني بنظر العالم كذلك» قال بحدة:

«وهذا خطأ سيتم إصلاحه على الفور».

«وماذا يعني هذا؟» سألته وقد شعرت بالخطر.

«سأذهب لأحضر الفطور» قال متجاهلاً سؤالها وخرج من الغرفة تاركاً إياها تحدق بالفراغ خلفه متسائلة عما قصده بكلماته هذه.

إستحمت وغادرت الغرفة بعد أن إرتدت ثوباً أبيضاً جميلاً وأخذ التوتر يزداد داخلها كلما إقتربت الساعة من التاسعة.

سمعت صوت السيارة في الخارج ورأت أماليا وجيمي وطوني يغادرانها.

ركض جيمي نحو سيارة روبرت الفارهة المتوقفة

قرب المدخل ثم سارع بدخول المنزل بعد أن شاهد والدته تقف خلف النافذة.

«ماما!» صاح وانتفض قلبها لسماعها لصوته وهو يقترب من باب الدخول.

«أرجوك روبرت...» إستدارت بحرقة نحو روبرت.

«أرجوك دعني اتحدث معه أنا أولاً ـ دعني أشرح».

«تشرحين؟ كيف؟» تحداها بشدة:

«بإجلاسه وإخباره كم هو والده حقيراً وعديم المسؤولية وبلا مشاعر؟» رفع عيونه القاسية اليها وقال:

«لا، سنفعل ذلك سوياً».

«لكن...» فتح باب الدخول وأخذت الخطوات تقترب منهما فسارعت ناتالي إليه وأمسكت بذراعه بشدة:

«أرجوك، أنت والده بحق السماء روبرت! أنا لن أؤذيه أبداً بتصويرك بتلك الصورة البشعة! فهذا سيعني كأنني أشوه صورته هو نفسه».

إقترب صوت الأقدام أكثر وازداد التوسل بأعماق ناتالي لخوفها من تعرض فلذة كبدها للصدمة.

«أرجوك روبرت إرحمني أرجوك وانتظر».

«حسنا، سأفعل ذلك في قصر النجمة! وسآخذك وإياه إلى هناك في الحال. أسمعت في الحال؟».

«موافقة، موافقة» قالت بسرعة وقد إنفتح الباب

ودخل جيمي بوجهه المشرق بالسعادة.

«ماما!» صاح بلهفة:

«متى عدت؟ هل رأيت تلك السيارة الرائعة المتوقفة قرب منزلنا؟ من تعتقدينه يـ...» تلاشى صوته بعد أن إنتبه ان امه لم تكن بمفردها داخل الغرفة وخفت الإثارة عن وجهه بعد ان رأى الغريب الواقف وسط الغرفة.

«آه، آسف، لم ادرك أن هناك أحداً غيرك هنا».

ثم سيطر الصمت على جو الغرفة. لا شي - لا شيء بالصورة التي تخيلتها لألف مرة حول مقابلة روبرت لجيمي خلال السنوات الثمانية الماضية والتي كانت تدرك أنها كانت ستحصل يوماً ما كانت مشابهة كما كانت تراه الآن وروبرت واقفاً يحدق بابنه المطابق له بتلك الملامح والتقاطيع.

ثم دخلت أماليا خلف جيمي كاسرة التوتر الخانق ووجهها الجميل فضولي وهي تنظر إلى ناتالي الواقفة بلا حراك قرب النافذة. نظرت ناتالي إليها بتوسل وهزت رأسها بتحذير صامت والدموع المهددة داخل عيونها ووجهها الشاحب كوجوه الموتى أفهمت أماليا أن خطباً ما قد حل. وتحركت عيونها إلى روبرت وكحال كل من يعرف جيمي فإن الشبه الكبير بينه وبين الرجل الغريب الواقف داخل الغرفة كان اكثر من واضح وشحب وجه أماليا نفسها وهي تعود بنظرتها إلى

ناتالي.

ثم بحساسية شكرتها ناتالي عليها فهمت أماليا أن عليها الخروج فاستأذنت وغادرت الغرفة تاركة إياهم بمفردهم.

«جيمي...» استجمعت ناتالي بقوة نفسها تاركة ذراع روبرت ومقتربة بخطوات بطيئة وهي تبتسم لطفلها:

«تعال إلى هنا» حثته بصوت مبحوح وهي تمد يدها نحوه:

«هناك شخص هنا يود مقابلتك...»

تناول جيمي يدها وسمح لها بجذبه نحوها فيما عيونه تحدقان بروبرت الثابت كالتمثال.

صارعت للسيطرة على مشاعرها بهذه اللحظة العاصفة ونظرت إلى طفلها ثم إلى روبرت.

«روبرت...» تمتمت بصوت مخنوق وهي تصارع دموعها التي أخذت تهدد بالانسياب:

«هذا جيمي. جيمي... هذا صديق قديم لي. إسمه - إسمه هو روبرت ستابلتون وهو...» لم يعد بإمكانها قول المزيد واخذت شفاهها ترتجف وتوسلت لروبرت للنجدة للمساعدة.

«مرحباً» قال جيمي مخففاً الضغط الهائل الذي كان يخنق الآخرين ومد يده نحو والده وهو يشعر بالتوتر المسيطر على الجو دون أن يفهم السبب بذلك.

روبرت لم يتحرك. بدا غير قادراً على ذلك ونظرت ناتالي باضطراب اليه. وجهه كان كالبللور تماماً والتصلب الواضح على ملامحه يظهر مدى البركان الهائل الذي يتفجر داخله من جراء صدمة رؤيته لابنه...

«روبرت...» توسلت بصوت مرتعش واجتاحتها موجة من التعاطف المرير وهو يرفع عيونه لتتشابك نظرته مع نظرتها. حثته بملامحها والارتعاشة الصغيرة لكتفيها دلته أنها عاجزة تماماً ولا تعرف ماذا عليها أن تفعل. فابتعد روبرت بنظرته عنها وعاد لينظر إلى وجه جيمي المراقب.

- ١٠ -

تحرك الطفل بعدم إرتياح من جراء تحديق روبرت به وتحركت اليد الصغيرة مما جذب انتباه روبرت إليها للمرة الأولى وظل يحدق للحظات باليد الصغيرة الممدودة نحوه ثم اعاد عيونه إلى وجه جيمي ثم إلى يده وامتدت يده هو ببطء وارتعاش لتمسك باليد الصغيرة.

ثم رفع عيونه مجدداً الى ناتالي والاتهام القاسي يلتمع بأعماقه الرمادية. هذا هو إبني! كانت عيونه المريرة تقول لها. إبني! وستدفعين انت ثمن إخفائه بعيداً عني!.

www.elromancia.com

ارتعشت واضطرت للابتعاد بنظرها عنه والألم والذنب يخنقانها سمعت روبرت يأخذ نفساً عميقاً مهتزاً ويستجمع شتات نفسه.

ثم جاءها صوته المرتعش:

«اهلاً يا بني».

كلمة بني هذه حزت بأعماق ناتالي كحد الخنجر الحاد وتمنت لو بإمكانها فقط الهروب من هذه اللحظة.

«هل هي سيارتك التي في الخارج؟» سأل جيمي بفضول متشجعاً من ابتسامة روبرت التي له:

«انها ألفا روميو اليس كذلك؟ اعرف لانني قد رأيت صورة لها في إحدى المجلات. ما هي مدى سرعتها؟ هل تتجاوز حدود المئة؟ سيارة ماما تصل حتى الثمانين فقط لكن...» الحديث البريء والرقيق هذا أعاد روبرت إلى الواقع وجعله يأخذ نفساً عميقاً أعاده من المكان المظلم الداكن الذي اخذته اليه الصدمة.

«بالطبع تستطيع الوصول إلى المئة وتجاوزها ايضاً» اجاب:

«وإذا أحببت فسآخذك بها بجولة مطولة الآن».

«حقاً؟» سأل جيمي وعيونه تتوسع من الدهشة واقترب بخطوة متشوقة نحو والده:

«هذا سيكون رائعاً! لم يسبق لي ابداً أن ركبت بسيارة مثل هذه».

الدهشة والإثارة كانت تلون نبرة جيمي وتجمدت ناتالي.

«هيا سنذهب الآن فوراً أنت ووالدتك وأنا برحلة مطولة ستستغرق ساعتين ونصف».

ساعتين ونصف حقاً؟ يبدو هذا رائعاً اليس كذلك ماما؟»

اكتفت ناتالي بطأطأة رأسها بموافقة للعيون الممتلئة بالإثارة والتي كانت تنظر اليها.

«لكن إلى أين سنذهب؟»

«سأخبرك بالطريق!» رد روبرت بابتسام:

«هيا لربما تود تغيير ملابسك استعداداً للمناسبة. سأساعدك بذلك فيما تخبر والدتك صديقتها عن رحلتنا هذه».

ابتسم جيمي بفرح وامسك بيد روبرت الممتدة نحوه ونفذ ما كان روبرت يقوله:

«هيا يا بني سأساعدك بتغيير ملابسك وننتظر والدتك في السيارة».

قاده جيمي والسعادة تضيء وجهه إلى غرفته وأخذ يثرثر بسعادة عن كل الاشياء المتعلقة بالسيارات والتي هو مغروم بها.

سارت ناتالي بخطى مخدرة نحو الباب المؤدي إلى البوتيك الخاص بها وبأماليا.

www.elromancia.com

هبت أماليا اليها فور دخولها وشكلها يوحي انها على وشك الانهيار الكامل.

«ناتالي، بحق السماء» هتفت أماليا وهي تسرع لتساعد صديقتها على الجلوس على اقرب كرسي:

«ما الذي يحدث؟ وهذا الرجل إنه... إنه والد جيمي اليس كذلك؟»

اندفعت الدموع من عيون ناتالي وهمست:

«آه أماليا لا اصدق أن كل هذا يحدث لي. سيأخذنا روبرت إلى آشلي مجدداً ولا... لا أعرف ماذا علي أن أفعل آه... أنا لا أستطيع منافسة روبرت وما بإمكانه أن يقدمه لجيمي وهو يعرف ذلك تماماً».

«لا شك أن الأمر كان بالغ الصعوبة عليه هو أيضاً ناتالي» قالت صديقتها بمنطق:

«ان يكتشف بعد ثمانية سنوات ان له إبنا بمثل روعة جيمي».

«صعب ان يكتشف ان ابنه لا يزال على قيد الحياة تقصدين» قالت ناتالي بمرارة لصديقتها التي تعرف القصة بأكملها:

«لا استطيع نسيان الحقيقة أنه قد تنازل عن مسؤولياته اتجاه جيمي حتى قبل أن يولد».

«لا، لا أعتقد أن بإمكانك ذلك» وافقتها أماليا:

«لكن ـ هل أنت واثقة أن رسالتك تلك قد وصلته

ناتالي؟ الجواب على هذا السؤال قد يعني تبدل الكثير من الأمور».

«لقد ارسلتها» ردت ناتالي بتصميم:

«لقد وضعتها بالصندوق الخاص ولا شك أنها قد وصلته. فلا تحاولي المجادلة بهذه النقطة أماليا أرجوك».

«حسناً لن أفعل» قالت صديقتها بتفهم:

«ما الذي ستفعلينه الآن؟»

«لقد توسلت له الا ينقل الخبر لجيمي كالصاعقة ووافقت غصباً عني على الذهاب إلى آشلي معه. أنا وجيمي. فعمتي لا تزال في المستشفى لكن الخطر قد زال عنها والحمد لله. وستكون بخير مساء هذا اليوم و... يريد روبرت إطلاع جيمي على كل الحقيقة هناك و... آه، ماذا يجب أن أفعل؟»

«فقط إفعلي ما يريده منك ناتالي» ردت أماليا:

«للحياة طريقة غريبة بحل عقد ومتاهات أيامنا. وأشعر بأعماقي أن كل شيء يسير معك على ما يرام ناتالي من الآن فصاعداً. لقد تعذبت كثيراً وتعرضت للظلم والطرد من اقرب الناس لك لكن السعادة ستعرف طريقها اليك قريباً. هذا ما تنبؤني به حاستي السادسة وأنت تعرفين صدق هذه الحاسة ناتالي لا؟»

ضحكت ناتالي بخفة ومسحت دموعها وقالت:

www.elromancia.com

«سأحاول أن أتذكر ذلك أماليا. سأتصل بك حين تتوضح الأمور... فليكن الله معي بما سيحدث».

عانقتها صديقتها وذهبت ناتالي وغسلت وجهها ثم بدلت ملابسها وخرجت إلى حيث كان روبرت وجيمي البراق العيون بإنتظارها داخل السيارة.

أخذت نفساً عميقاً وشدت المعطف حول بذتها الزيتية الأنيقة وانطلقت الألفا روميو بهم نحو مهد الذكريات.

توقف روبرت بالعديد من المحطات والتي تنوعت بين مطعم فاخر ومدينة العاب ومحطة وقود وكان جيمي واضح السعادة الآن بصحبة روبرت وكأن حاسته قد حللت كل الغرابة والبرود بينهم كونهم من دم واحد.

طوال الطريق ظلت أفكار ناتالي مشوشة ومضطربة من الطريقة التي ستتبعها وروبرت لإطلاع جيمي على حقيقة كون روبرت والده. وتساءلت ناتالي وهي تراقب سعادة جيمي بنكات واحاديث روبرت إن كانت هي قد ظلمت جيمي نفسه بحرمانه من وجود اب قربه طوال سنوات حياته الثمانية السابقة؟ لطالما كان يسألها عن والده ويتساءل لماذا عند كل اطفال صفه آباء الا هو، الا هو لا يملك ذلك الأب؟ وكانت ناتالي دوماً تتهرب من الاجابة وتعطيه الأجوبة البسيطة المهمة ومع الوقت لم يعد جيمي يسألها شيئاً كأنه شعر بذكائه الطفولي

الفطري ان والدته لا ترغب بالتحدث حول هذا الموضوع وانها لن تعطيه المعلومات الكافية التي يريد! لكن هل كانت هي محقة بما فعلت؟ ببترها لكل الجذور التي كانت تربطها بآشلي وأهلها وحياتها السابقة وخاصة بقطعها الجذور العميقة التي كانت تشدها إلى روبرت مذ وعت على وجه الدنيا؟ ما الذي كان سيحدث لو انها إتصلت به ولو لمرة واحدة طوال تلك السنوات؟ ما الذي كان سيحدث لو انها إستفسرت منه ولو بفضول عن السبب الذي دفعه لعدم الرد على رسالتها اليتيمة التي ارسلتها له؟ هزت رأسها بشدة مبعدة كل هذه الأسئلة عنها ومركزة على ما سيحدث! لا مبرر له لتجاهله لرسالتها لتوسلاتها تلك:

إنه المذنب الوحيد بما حدث! لقد تهرب من تحمل نتيجة خطأه وتركها وحدها تصارع الحياة وهي بعد في السابعة عشر من العمر ومع طفل لم يرى بعد النور!.

وصلوا اخيراً إلى «قصر النجمة» وكان الطقس بارداً والغيوم تغطى وجه السماء لكن لم يكن من أمطار ولا رياح.

نظر جيمي إلى القصر الرائع بإعجاب وقال:

«هل تسكن هنا سيد روبرت؟»

«الم نتفق على ان تنسى كلمة سيد هذه؟» عنفه روبرت برقة:

«روبرت فقط ستكون جيدة... حالياً على الأقل تابع وهو يرمق ناتالي بنظره فهمت معناها تماما.

«إنه قصر اليس كذلك؟» هتف جيمي بإثارة وهو ينزل من السيارة.

«أجل إنه كذلك وأتمنى أن يعجبك من الداخل تماماً كإعجابك به من الخارج».

سيعجبه! تمتمت ناتالي بنفسها وتذكرت سعادتها وهي طفلة بالتنقل داخل ارجاء القصر وقفزها على سلالمه وجلوسها امام المدفأة الضخمة بإنتظار الكستناء التي كانت تتناولها دوماً مع روبرت في الشتاء.

- ١١ -

دخلوا وارتعشت ناتالي بقوة وتشاغلت بخلع معطفها حتى تمنع روبرت من رؤية الدمعتين اللتين تدحرجتا على وجنتها.

«ماما!» اعادها صوت جيمي المتشوق إلى الواقع:

«هل استطيع الذهاب مع روبرت لاستكشاف معالم القصر؟»

«وسنذهب بعد ذلك لاستكشاف الاسطبلات». قال روبرت بمرح قبل أن يتسنى الوقت لناتالي بالرد على سؤال ابنها.

«الاسطبلات؟» هتف جيمي بعدم تصديق:

www.elromancia.com

«هل تقصد الاسطبلات حيث الخيول والأحصنة؟»

بالطبع، أجاب روبرت وهو يضحك:

«وهناك فرس صغير قد ولد قبل شهرين وسيناسبك تماما لأن قدميك ستصلان إلى ركابه بسهولة».

«ماذا؟ صحيح؟» هتف جيمي والسعادة تشرق من عيونه».

هل سمعت ماما سيدعني روبرت أمتطي الفرس الصغير! لطالما رغبت بتعلم الفروسية».

«ستفعل ذلك يا حبيبي» قال روبرت باندفاع:

«وسأكون أنا نفسي استاذك فما رأيك» وركع قرب ابنه وعيونه تشعان بالحب.

«هذا رائع روبرت» قال جيمي بحماس وهو يعانق والده ويطبع قبلة على وجنته:

«هذا رائع حقاً».

تجمعت الدموع مجدداً بأعماق عيون ناتالي للنظرة التي رأتها داخل عيون روبرت الذي نظر مطولاً لابنه ثم نهض وقال بصوت مبحوح من شدة العاطفة:

«هيا إلى رحلة استكشاف القصر».

«هيا» هتف جيمي وأمسك بيد روبرت وسارا معاً اباً وابنه بخطوات منسجمة متشابهة عصرت قلب ناتالي التي سارت بدورها نحو غرفة الجلوس.

لحظات وانضما لها وقد عادت الجدية لتسكن

نظرات روبرت وادركت ناتالي فوراً أنه قد حدد الوقت لاطلاع ابنه على حقيقة هويته وانتفض قلبها لذلك.

«ماما الغرف رائعة وآه لو تشاهدين برج الحمام ذاك، إنه كبرج القراصنة».

«أجل يا حبيبي» قالت ناتالي بصوت مخنوق وابتسامة صغيرة.

«جيمي» قال روبرت وهو يقترب من ناتالي ونبرة صوته جعلت جيمي ينظر إليه بتركيز كأنه قد ادرك أن شيئاً كبيراً كان سينطق.

«نحن ـ والدتك وأنا ـ عندنا شيء مهم نود أن نخبرك به...»

تجمدت ناتالي وأخذت أعصابها كلها ترتجف مدركة أن اللحظة التي كانت تخشاها قد حلت اخيراً. روبرت لن يدع احدهم يغادر هذه الغرفة قبل أن يصبح جيمي عارفاً بكل الحقيقة.

«ناتالي» قال بهدوء وتصميم جعلها تستدير وتواجهه وإمتدت يده نحوها آمراً إياها بصمت للاقتراب منه ومشاركته، مشاركته مواجهة كل شيء.

ابتلعت ريقها بصعوبة وابعدت نظرتها عنه وهي تتجه نحوه بخطوات مخدرة وشعرت بذراعه تحيط بخصرها ويقربها منه اكثر. ثم عاد لينظر إلى إبنه الذي كان يدرس بفضول المشهد هذا.

ثم سمعت ناتالي صوت القنبلة التي اذهلتها والتي كانت كلمات روبرت القائلة:

«أريد الزواج من أمك جيمي. لكنها تصر أن علينا الحصول على موافقتك أولاً».

دارت الأرض امام عيون ناتالي وكلماته الغير متوقعة والصادمة قد سلبت منها عقلها وكادت أن تسقط للضعف الذي شعرته بركبتيها لولا أن روبرت شدد من قبضته على خصرها وابقاها مكانها ونظرته لا تبتعد عن وجه جيمي الذي اخذ يرمقهما فجأة بغرابة وسأل بكل براءته وطفولته».

«لماذا؟»

إبتسم روبرت وقال:

«لأنها المرأة الوحيدة بكل هذا العالم التي اردت الزواج منها» وتابع وعيون ناتالي مغمضة بانتظار الفأس التالية التي كانت ستسقط على مسامعها الا أنها سمعته يتابع ويقول:

«لانني أحبها كثيراً وهي ايضاً تحبني كثيراً».

«هل تحبينه؟» سألها جيمي بتحدي عدائي وعيونه تبرقان بقوة.

«أنا...» لم يكن بإمكانها الرد. لقد فاجأها روبرت بإعلانه الزواج منها هذا والذي لم تتوقعه هي ولم يحضرها هو له. والذي كان دون شك قد خطط له اثناء

رحلة الذهاب إلى واشنطن وتذكرت كلماته:

«عبر الام أحصل على الابن».

جيمي كان بإنتظار ردها وهو يحدق بها بعيونه المطابقة لعيون والده.

«أجل» همست بإستسلام اخيراً مدركة تماماً أنها لا تملك أي خيار آخر. روبرت كان متمسكاً بالوصول إلى هدفه بكل الطرق كان يريد الحصول على ابنه بالقلب والجسد والروح والطريقة الوحيدة التي تمكنه من ذلك كانت تظاهره الحب العميق لوالدة طفله والا فإن جيمي سيكون دوماً متشككاً ولن يتأكد ابداً لماذا تجاهلهم والده لمدة ثمانية سنوات طويلة قبل أن يعود ويطالب به مجدداً.

«لماذا؟» عاد السؤال الطفولي البريء والحاد ليشق آذان روبرت وناتالي.

تركت ناتالي جانب روبرت واقتربت وركعت امام ابنها وامسكت بأكتافه وبدأت بعناية وهدوء:

«تذكر جيمي قبل سنوات حين سألتني حول المكان الذي ولدت وعشت أنا فيه؟»

طأطأ بصمت وعيونه الغاضبة مركزة على وجهها الشاحب.

«واخبرتك انني...» قالت بصعوبة:

«انني كنت اعيش في مكان يبعد عن واشنطن و...»

www.elromancia.com

«اسمه آشلي» ملأ جيمي فراغ جملتها:

«أي انك كنت تعيشين في هذا المكان لا؟ وهنا حيث ـ قابلته» قال رامياً روبرت بنظرة إمتعاض.

«أجل» وافقته والدته:

«هنا قابلت روبرت لأول مرة و...»

«وماذا؟» حثها جيمي حين لاحظ للحظة ترددها.

«كلا، ناتالي» قال روبرت الذي اقترب ووضع يده على كتفها:

«هذا ليس الوقت المناسب لـ...»

«لأول مرة» تابعت ناتالي متجاهلة طلب روبرت وتوتر جيمي الذي كان يتزايد. فهذا كان الوقت المناسب لاطلاع جيمي على كل شيء ـ وبالتالي الطريقة الوحيدة للتخلص من كل الألم والمرارة وتابعت:

«روبرت وأنا كنا نعرف بعضنا البعض مذ كنا أطفالاً. لقد ترعرعنا وكبرنا سوياً وأعتقد أنه كان من الطبيعي لنا أن نقع بحب بعضنا البعض لكني كنت صغيرة السن حينها جيمي... وكنت صعبة المراس وكثيرة المشاكل و... وكان على روبرت السفر... السفر إلى كندا ليعمل وأنا ـ أنا كان علي مغادرة آشلي لأجد عمل، لاهتم بنفسي و ـ وفقدنا الاتصال ببعضنا البعض».

«إنه هو ـ هو اليس كذلك؟»

هتف جيمي وهو يتراجع خطوة عنها ويقف بتصلب

بعيداً عنهما ووجهه الصغير شديد الشحوب وعيونه تحدق بإتهام بعيون والدته.

«إنه هو ـ الذي كلمتني عنه» قال جيمي ونظرته المريرة تنتقل إلى روبرت للحظة قبل أن تعود إلى وجهها:

«إنه... والدي ـ اليس كذلك؟»

خطوة تراجع اخرى جعلته يبتعد عنها اكثر وعيونه تحدقان بها بإتهام بكره واضطرت هي للنظر بعيداً عنه حتى تمسح الدموع التي انسابت على وجهها.

«لكنه لا يهتم لنا» صرخ جيمي بغضب بكل ألم سنوات الحرمان الثمانية التي عاش بها دون وجود والده إلى جانبه وعيونه تتنقلان بينهما بحدة:

«هو لم يهتم لنا ـ وقد جعلك الآن تحبينه مجدداً!»

«لكن بالطبع كنت أهتم جيمي» قال روبرت بصوت مخنوق مقترباً لخطوة واحدة من الفتى قبل أن يتوقف وهو يرى عيونه الرمادية الحادة تحدق به.

«لم تكن تهتم بها، لم تهتم بي» اتهمه بألم.

«هذا لأنه لم يكن يعرف شيئاً عنك» صرخت ناتالي فجأة وعاد الصمت ليسكن الغرفة.

«لقد ـ لقد اخبرتك يا حياتي» تابعت بإرتجاف:

«اذكر ـ لقد اخبرتك كيف ضاع الاتصال بيني وبين والدك حتى قبل أن تولد، اذن كيف كان بإمكانه معرفة

www.elromancia.com

أي شيء عنك أو حتى معرفة أنك كنت موجوداً؟»

«كان بإمكانه محاولة ايجادك» قال جيمي بتعاسة:

«إذا كان يحبك كما تقولين فكان عليه محاولة ايجادنا».

«لقد حاولت» قال وعيونه تحدقان بوجه ابنه:

«لقد حاولت ولسنوات إيجاد والدتك لكنها كما يبدو كانت قد تبخرت عن وجه الأرض! لأن أحداً لم يراها أو يسمع أي شيء عنها منذ أن رحلت عنا».

«عنا؟» سأل جيمي وعقله الصغير يعمل بحدة متمسكاً بكل كلمة كانت تقدم اليه للحصول على الحقيقة. الحقيقة الكاملة.

«أنا وعمة والدتك التي ربتها بعد أن توفت جدتك الحقيقية بعد ولادة أمك بوقت قصير».

توسعت عيون جيمي وهتف:

«أنا عندي جدة ايضاً؟»

ورمى ناتالي بنظرة اتهام هائلة.

نهضت ناتالي على أقدامها مدركة أن عليها التصرف قبل أن يفلت زمام السيطرة على جيمي الذي قد تقبل الحقائق حتى الآن بطريقة ناضجة ادهشتها. لقد افهمته منذ سنواته المبكررة أن والده لا يعرف شيئاً عنه وبدا أنه قد تقبل ذلك ولكن الآن قد توضح كل شيء لها. نظرات الألم العميق والكلمات الحارة التي تصدر من

جيمي، ابنها دلتها أنه كان يتساءل طوال الوقت عن والده، عن الأسباب والأسباب التي تمنعه من العودة اليهما، متوصلاً بعقله الطفولي إلى استنتاجات قاسية وفارغة جعلته بالتالي يرمي بكل هذه التهم الآن.

كل هذه السنوات، ادركت ناتالي بذنب، كان ابنها المسكين يتضور لحب والده دون أن تشعر هي بذلك! ببطء إتجهت نحو إبنها وأمسكته بقوة من يده وأجلسته على الكرسي وقالت:

«إجلس، من الأسهل لجيمي الا يلومه أحدنا بأية طريقة كانت». قالت موجهة كلامها إلى روبرت الذي جلس على الكرسي المقابل لهما وعيونه مركزة على وجه إبنه الرافض.

تابعت ناتالي موجهة حديثها إلى إبنها:

«إسمعني جيمي، أعرف أن كل هذا سبب لك الصدمة لكن يجب عليك أن تسمح لي بشرح القصة بأكملها قبل أن تبدأ بإصدار الأحكام...»

وبدأت ناتالي بهدوء وبطء بالقصة من النقطة الأسهل والتي بدأت بقراءتها للجريدة ومرض عمتها.

«لكنك لم تخبريني ابداً أن لك عمة!» صاح جيمي متهماً إياها مجدداً.

«أعرف...» قالت وهي تمسك يده:

«لقد حدث بيننا شجار كبير وأنا ـ أنا هربت».

www.elromancia.com

«وبنفس الوقت هربت منه؟» سأل جيمي ورأسه ينحني قليلاً بإتجاه روبرت.

«أجل» اعترفت:

«وكوني شخصاً شديد الكبرياء جيمي، أنا لم أتصل بأي منهما أبداً بعد رحيلي».

«وهل اردت أن تفعلي؟» سألها بفضول.

«آه، أجل» همست بإرتعاش وهي تتذكر لحظات المرارة والوحدة التي كانت تدفعها للتخلي عن كبريائها والاتصال مجدداً بروبرت.

«بعض الأحيان...» قالت بخفة.

«وهل هي مريضة جداً؟»

«أجل مريضة جداً» ردت ناتالي بتعاطف:

«لكن صحتها تتحسن بإستمرار وستستفيق من البنج هذا المساء».

تحرك جيمي بعدم إرتياح على مقعده وقال:

«وهل تعرف هي عني؟»

«أجل ، هي تعرف» ردت ناتالي وقد علمت أنها سألت فور زوال النوبة القلبية عنها وعن حفيدها وشدت ناتالي على يد إبنها بحب وقالت:

«وهي ترغب بشدة برؤيتك والتعرف اليك».

«لكن علينا اولاً حل المشكلة المتعلقة بي، ورغبتي بالزواج من والدتك وأن أكون الوالد الذي يفترض بي

أن أكونه لك، جيمي». قال روبرت بهدوء.

وتحول كل إنتباه جيمي وناتالي إلى وجه روبرت الهادىء.

«هل تعرف انت عمة ماما ـ جدتي؟» سأله جيمي بفضول وادرك روبرت رغبة ابنه العميقة بالتحدث عن هذه العمة أو الجدة لتحاشي التحدث بموضوعه هو موضوع الأب.

«روبرت كان يعتني بها من أجلنا جيمي» ردت ناتالي بهدوء.

«حقاً؟» سأل جيمي وقد أثرت عليه هذه الملاحظة وجعلته ينظر إلى والده بإحترام:

«هل ستحبني هي، هل تعتقد ذلك؟»

ظهر شيء ما على وجه روبرت وطمأن ابنه بشدة وحنان:

«أعتقد أنها ستحبك من أول نظرة ـ أنت تبدو كثير الشبه بوالدتك وهي ستحبك على الفور».

«كلا، هذا ليس صحيحاً رفض جيمي بقوة وقال بإتهام وهو يبعد نظره عن روبرت:

«أنا أبدو مثلك أنت».

«ليس بإبتسامتك» اخبره روبرت:

«ابتسامتك مماثلة تماماً لابتسامة والدتك ـ الابتسامة الواسعة والدافئة والتي وقعت بحبها مذ كانت هي بمثل

www.elromancia.com

عمرك أو حتى أصغر قليلاً».

«ما دمت تحبها فلماذا تركتها؟» سأله جيمي بإصرار.

«لأنه كان علي السفر إلى كندا، لأعمل هناك لمدة سنة» اجابه روبرت بثبات:

«لكن، فيما كنت أنا هناك، اكتشفت والدتك أنها حامل بك ولهذا فقد كتبت لي رسالة تخبرني بها كل شيء عنك وتطلب مني العودة اليكما ـ أنا فقط لم أتسلم رسالتها وبالتالي حين لم تستلم هي رداً مني إعتقدت والدتك أنني لم أعد أهتم لها ولهذا فقد هربت. أنا لا الومها لا شك أنها كانت تشعر بالألم الشديد وبالغضب الكبير. وأنت ايضاً لا يجب أن تلومها جيمي، لا شك أن ذلك كان اكثر الأوقات خوفاً وهلعاً لها، لكنها رغم ذلك تمكنت أن تعتني بك بنفسها وقد احبتك واهتمت بك وجعلتك صبياً رائعاً يشعر كل رجل بالفخر والسعادة لتكون ابنه».

اذن عليه التوضيح له بهذه الطريقة الفضلى؟ فكرت ناتالي وهي تحدق بيدها الممسكة بيد إبنها وتقبلت بجفاف أن هذه قد تكون فعلاً الطريقة الوحيدة ـ والفضلى. على الأقل توضيح روبرت لم يسيء لأي شخص كما وأنه لم يؤذي موقع جيمي بكل ذلك.

«لكننا الآن قد وجدنا بعضنا البعض» تابع روبرت بعد فترة صمت صغيرة حتى يتيح لابنه استيعاب ما قاله

له:

«وأنا أريد أن أعوض لكما سوياً عن السنوات الثمانية السابقة. وأريد أن نصبح مجدداً العائلة التي كنا سنكونها لو أن رسالة والدتك قد وصلتني».

«وأين سنعيش؟»

كان يريحه. لاحظت ناتالي بألم ببطء وعناية يربح إبنها.

«هنا في هذا القصر» رد روبرت بهدوء:

«هذا سيعني الكثير من التغيير لكل واحد فينا، لكني أعتقد أنه اذا حاولنا بجهد وبأفضل ما لدينا فإن بإمكاننا أن نكون سعداء».

حين لم يرفض الفتى ما كان يقوله له والده تماماً فقد انحنى روبرت إلى الأمام مركزاً كل اهتمام جيمي عليه ونظرته الرمادية مرتكزة على النظرة الرمادية الصغيرة.

«ستكون لك غرفتك الخاصة وجناحك الخاص جيمي وسأملأه لك بكل ما تريد وترغب وهناك بحيرة رائعة خلف القصر ونهر طويل حيث كانت والدتك...»

«هل هناك سمك في النهر؟» قاطعه جيمي بلهفة وادركت ناتالي أن روبرت قد كسب ود جيمي.

طأطأ روبرت رأسه وإبتسم قائلاً:

«ما يكفي من السمك حتى تصطاد كل يوم حتى تصبح بمثل عمري أنا دون أن يتقلص عدد الأسماك ـ

www.elromancia.com

هل تحب اصطياد السمك؟»

«آه، أجل» رد جيمي بحماس:

«العم مارك كان يأخذني وطوني وقد انزلقت قدمه مرة وسقط وسط المياه» نحن نذهب دوماً للتصيد اثناء العطل المدرسية»

«حسناً إذن سنذهب للصيد كلما رغبت بذلك وبعد انتهائك من فروضك المدرسية بالطبع و...»

«وهل سأذهب إلى مدرسة جديدة هنا؟» سأل جيمي والتقطيبة تعلو جبينه.

«أجل بالطبع» أجاب والده بهدوء:

«لكنها ستكون نفس المدرسة التي ذهبت إليها والدتك وذهب إليها والدك حين كانا بمثل سنك. واسمع ما رأيك أن ندعو الأولاد الذين بمثل سنك إلى حفلة كبرى هنا حتى يتسنى لك التعرف عليهم قبل ذهابك إلى المدرسة؟»

هز جيمي برأسه وقال:

«تبدو هذه فكرة جيدة!»

«أجل وسأحضر لك كل المهرجين والسحرة الموجودين في آشلي الآن بسبب الاستعراض الكبير وستكون أنت صاحب الحفلة والمسؤول عن ترتيبها فما رأيك؟».

صفق جيمي بيديه وقال:

«أجل سأفعل» صمت للحظات مفكرة ثم سأل:

«روبرت... با... بابا هل تحبني حقاً؟»

التمعت عيون روبرت بدموع الحب والصدق وعانق ابنه بكل حب وقال:

«أجل يا حبيبي أحبك أكثر من أي شيء في هذا العالم... أحبك وسأظل هكذا إلى الأبد».

ويبدو أن حدس الصبي واحساسه اخبراه أن روبرت الرجل الغريب الذي قابله هذا الصباح والذي اكتشف أنه والده الذي كان يفتش عنه ويتساءل عن سبب اختفائه كان يقول الحقيقة فقد إبتسم له جيمي إبتسامته الدافئة الرائعة وقال:

«وأنا أيضاً سأحبك كما أحب أمي» ثم عانق والدته التي أخذت تبكي من شدة التأثر.

«ما رأيك الآن بالذهاب إلى المطبخ لتناول فطيرة التفاح التي حضرتها السيدة فالو لك خصيصاً؟»

«همم سأفعل حالاً. يبدو أن السيدة فالو ساحرة فقد عرفت ما الذي أفضله من الحلوى». تمتم جيمي بطفولة بريئة.

«هذا لأن والدتك وأنا نفضل هذا النوع من الحلوى منذ الصغر اليس كذلك ناتالي؟» سألها وعيونه تضحكان لها.

فطأطأت برأسها موافقة وراقبت جيمي وهو يخرج من

www.elromancia.com

الغرفة متجهاً إلى المطبخ.

ثم السيطرة الكبيرة التي كانت تمارسها على اعصابها منذ الصباح تلاشت وأخذت الدموع تنهمر بغزارة على وجهها الذي خبأته بين يديها وشعرت بعد ذلك بذراعي روبرت تحيطانها وتربتان على شعرها وتشدانها إلى صدره حيث كان ملجأها الدائم.

«لقد اقتلعتني مجدداً من جذوري روبرت» قالت بعد أن خفت دموعها:

«لقد عملت جاهدة للوصول إلى كل ذلك روبرت، منزلي عملي الاحترام الذاتي الذي عملت بجهد خارق للحصول عليه».

وأنت تعتقدين انني سأحرمك من كل ذلك ناتالي» قال وصوته يداعب جبينها.

«أنت تريد الانتقام».

«أنا أريد ناتالي» قال بصدق:

«ناتالي التي لم يكن من الواجب ابتعادها عني منذ البداية» رفع ذقنها إليه وحدق بعيونها وقال:

«الانتقام هو لمن يشعر بالمرارة وأنا لا أشعر بها ناتالي، أنا فقط أشعر بالغضب» قال بتنهد:

«بالغضب لانني قد خسرت الكثير الكثير فقط لأن رسالتك اليتيمة تلك لم تصلني».

تصلبت بين ذراعيه لرفضه المستمر لاستلامه

لرسالتها.

«أنت لا تزالين لا تصدقيني اليس كذلك؟» قال عبر أسنانه المصطكة:

«ماذا علي أن أفعل لأجعلك تصدقي ذلك. أنا لم أستلم رسالتك أيتها المعتوهة. حين لم تتصلي بي ولم يصلني منك أي رسالة ادركت أن هناك خطب ما فتركت كندا وعدت إلى آشلي بعد أربعة أشهر من سفري. وصعقت حين لم أجدك ولم يخبرني أحد عن مكان تواجدك وقال الجميع أنهم لا يعرفوا إلى أين ذهبت. وقد قضيت اشهراً طويلة وأنا أفتش عنك لإدراكي أن مصاباً قد حدث وجعلك تهربين بهذه الطريقة لكني لم اجدك ولم اجد أي أثر لك...»

«أرجوك توقف عن اعادة الماضي» قالت وهي تسد اذنيها:

«مهما قلت فإنني لن أصدقك لقد أرسلت رسالتي ولم يكن يعرف أي أحد بأمرها ولا حتى عمتي فكيف عرف والدك إذن بأمرها وبما هو محتواها إذا لم تكن أنت من اطلعه عليها؟ لقد اخبرني بوضوح أنك تنكر أن تكون أنت والد الطفل وأمرني بإجهاضه والا فإنه سيرمي بي وعمتي في الشارع و...»

وضع روبرت يده على فمها بذهول وقال:

«ماذا؟ والدي؟ عرف بأمرها؟ هيا ناتالي اخبريني ما

www.elromancia.com

الذي حدث وكيف ارسلت الرسالة؟» سأل بلهفة شديدة اذهلت ناتالي.

الا إنها هي قالت:

«لا فائدة من ذلك الآن لقد...».

هزها روبرت بشدة وقال:

«اللعنة عليك! أخبريني كل ما حدث وبالتفصيل...»

سعلت ناتالي قليلاً لتوضيح صوتها وأعادت والألم يعتصر قلبها ذكرى إيصالها للرسالة إلى مكتب البريد.

القدر والقدر وحده جعلها تذكر لروبرت رؤيتها للسائق الخاص بوالده هناك نهض روبرت من مكانه كالصاعقة حين وصلت بسردها إلى هذه النقطة وتعبير غامض يبرق داخل عيونه. هتف:

«هل قلت جان سائق والدي قد شاهدك هناك؟؟»

نظرت إليه بحيرة وقالت:

«أجل لقد شاهدني وأنا أدخل مكتب البريد وشاهدني وأنا أسلم الرسالة للساعي!... وماذا في هذا؟»

«في هذا كل شيء أيتها البلهاء الغبية» صاح وهو يغادر الغرفة بسرعة وكأن شيطان يلاحقه:

«بهذا كل شيء! إنتظري هنا ناتالي سأعود حالاً».

جلست ناتالي مكانها والحيرة تلفها وأخذت تحاول ضمن الضباب المسيطر على عقلها التوصل إلى تحليل

ما يبرر تصرف روبرت هذا. لكن ظروف وأحداث اليوم وما حدث مع سردها لذكرى ألمها ومرارتها أثناء إرسالها لتلك الرسالة منعاها من التفكير بوضوح. وحين عاد روبرت إلى الغرفة مجدداً برفقة رجل عجوز عرفت ناتالي فوراً أنه جان سائق والده السابق ازدادت حيرتها وأخذت تحدق بروبرت وعيونها متوسعة بإستفسار.

دفع روبرت الرجل الآخر ببعض القسوة الخفيفة وقال:

«هيا تكلم قل كل شيء».

«آسف ناتالي إذا ما كنت قد تسببت لك بالتعاسة من جراء تصرف طائش قمت به بوحي من إخلاصي وتفاني بخدمة السيد ستابلتون الوالد» بدأ السائق السابق بالقول وملامح الأسف واضحة عليه:

«لكني أقسم لك أنني لم أعتقد للحظة واحدة أن ما قمت به كان سيصبح السبب الأساسي لكل ما حدث فقد...»

«جان توقف عن المقدمات وادخل بصلب الموضوع فوراً» أمره روبرت مقاطعاً إياه بنفاذ صبر وعيونه تبرقان بشدة.

«حسناً» قال جان وسرح بنظره إلى البعيد إلى ثمانية سنوات مضت وقال:

«ذلك اليوم العاصف الماطر كنت أمر بطريقي قرب

www.elromancia.com

مكتب البريد لأن السيد ستابلتون كان قد أرسلني لإحضار بعض الحبوب من محل جاردي الملاصق لمكتب البريد. كنت قد إشتريت ما أوصاني به السيد وبطريق مغادرتي للمحل حين شاهدتك ناتالي» قال دون أن ينظر إليها وتابع:

«بمعطفك الواقي من المطر ووجهك المبلل بالمطر تدخلين مكتب البريد وتسلمين رسالة ما إلى الموظف الخاص الذي وضع الرسالة بالتالي في الصندوق استعداداً لإرسالها في الصباح الباكر مع بقية الرسائل والطرود». صمت قليلاً وكأنه قد تعب من الذكرى ثم تابع:

«لسبب ما ارتأيت أنه من الواجب علي إطلاع السيد ستابلتون على هذا الأمر. فجميعنا كان يعرف أن ناتالي كانت وحيدة ولا أحد لها في الدنيا سوى عمتها وهكذا فلمن سترسل رسالتها الا للسيد روبرت والذي كنت قد لاحظت وجود شيء ما بينكما!»

صمت مجدداً وتصلبت أوصال ناتالي وقد بدأت خيوط الحقيقة تتوضح أمامها ولم تستطع الا البقاء مكانها والتحديق بعيون متوسعة بالرجل الواقف أمامها الذي تابع:

«وهذا ما حدث فعلاً لقد عدت إلى القصر وأطلعت السيد على ما شاهدت جن جنون السيد ستابلتون

لمعرفته بهذا وأخذ يشتم ويهدد ويتوعد ثم أمرني بإيصاله إلى مكتب البريد فوراً.

نفذت الأمر دخل هو المكتب وبعد حوالي النصف ساعة خرج وبيده رسالة مغلقة. لا شك أنه قد أستعمل نفوذه وسلطته وكذلك تهديده حتى تمكن من سحب الرسالة... رسالتك من الصندوق والتي كانت معنونة ومرسلة إلى السيد روبرت في كندا...» صمت مجدداً ولم تشعر ناتالي الا والدموع الحارة تغسل وجهها وهي تسمعه يتابع:

«السيد ستابلتون لم يفتح الرسالة ويقرأها في السيارة بل ظل يتفاخر وامارات السرور والاكتفاء بادية على كل محياه من أنه سينقذ إبنه من بين براثن صائدي الثروة وأنه لن يدع أي شيء يقف في طريق سعادة ونجاح السيد روبرت. هذا هو كل ما حدث وحين هربت من البلدة بعد ذلك بأسبوع لم يخطر ببالي أبداً أن إطلاعي على ما شاهدت للسيد ستابلتون كان له أي يد بذلك».

نظر إليها الآن بعيون يملؤها الندم والأسف الصادق وقال بصوت ضعيف:

«ناتالي... سامحيني إذا ما كنت قد اسأت اليك فقد كنت أقوم بواجباتي وما يمليه علي عملي بخدمة السيد بصدق و...» تلاشى صوته ورأت ناتالي ضمن دموعها دمعة تتدحرج على خده.

فأجبرت نفسها على النطق ومدت يدها لتربت على كتف الرجل العجوز وتقول:

«لا بأس... انني اسامحك فأنت لم تقصد الأذية... و... ويبدو» تابعت وهي ترفع عيونها الباكية إلى روبرت وتقول:

«يبدو أن الذنب هو ذنبي أنا منذ البداية...»

غادر الرجل الغرفة وظلت هي مكانها وعيونها لا تبتعد عن وجه روبرت ودموعها تنساب على وجهها بصمت.

مد روبرت يده إليها ورأت شفاهه تبتسم بتلك الابتسامة الدافئة التي كانت معتادة على رؤيتها فسارت إليه، سارت إليه وقلبها في عيونها وأخفت وجهها في صدره وأخذت تنتحب وتنتحب ماسحة ذكرى كل المرارة والألم والحزن.

«آه روبرت... آه! ماذا فعلت!... لكم كنت غبية... لاعتقادي للحظة... انك قد خذلتني و... إنك قد تخليت عني... لكن... لكني كنت خائفة جداً وصغيرة و...»

وضع روبرت يده على فمها وتلألأت الدموع داخل أعماق عيونه الرمادية وقال بحنان:

«يكفي نانا! لا تقولي أي شيء آخر... أنا أفهم جيداً كل ما تقوليه... أعرف تماماً ما الذي شعرت به

وما الذي مررت به... حتى أن لومي وغضبي منك لابعادك ابني عني طوال هذه السنوات قد تبخر الآن وتلاشى... ما يهمني الآن انني قد وجدتك ووجدت جيمي و... عادت شمس حياتي لتشرق مجدداً» حدق عميقاً بعيونها ثم انخفض وقبل شفاهها برقة وحنان غريب وهمس:

«أنا أحبك نانا، لطالما كنت أحبك وسأظل أحبك طوال حياتي. أحبك، ولم أتوقف عن حبك للحظة واحدة».

التصقت ناتالي به وشعرت أن حياتها قد بدأت الآن ورفعت إليه وجهها وعيونها تشع وكيانها كله يصرخ بحبه ونطق لسانها بذلك وقالت:

«آه روبرت أنا أحبك مذ فتحت عيوني على هذه الدنيا، أحبك البارحة وأحبك اليوم وأحبك غداً فأنت رمز وجودي ومعنى حياتي... مجرد وجودي هنا بين ذراعيك يجعلني أنسى كل ألم كل مرارة مرت بي وجودك قربي يبهج قلبي ويبعث الحياة داخلي و...»

وأسكتها بالطريقة التي يسكت بها أي رجل عاشق فم حبيبته ويقف سيل العبارات الحارة بتثبيتها بالمشاعر الحارة التي تفوق الوصف.

ومن المستشفى ومن غرفة العناية الفائقة حيث بدأ مشوار ناتالي بالعودة إلى الماضي بدأت مجدداً رحلة

حياة ناتالي المشرقة والناضجة بسعادة الكون. فقد تعافت عمتها وكانت دموعها وهي تقابل جيمي وناتالي تغسل كل الآلام والأحزان التي مروا جميعاً بها بسبب القدر وأخطاء البشر.

حفلة زفاف روبرت وناتالي كانت أكبر حفلة تقام في آشلي منذ سنوات وسنوات وازدانت قاعات القصر وحدائقه بالزينة والأنوار وكان أهل البلدة بأجمعهم هم المدعوون. وحدها كارولين بوشيه لم تحضر فقد ادركت أن الهدف الذي كانت تخطط له منذ سنوات وتحاول الوصول إليه قد تبخر وأصبح بمرمى إمرأة أخرى. شعرت ناتالي ببعض التعاطف معها لكنها أدركت أنها ستتخطى هذا الأمر لاحقاً لأنه ومنذ البداية كان عليها أن تدرك أن روبرت لم يكن لها وأنه كان منذ البداية مرتبطاً بحب ناتالي وبحبها له وأن القدر كان رحوماً بالنهاية بجمع شملهما معاً.

«لن يفرقنا أي شيء الآن يا حبيبتي» قال لها وكل الحب يلمع في عيونه.

«لكن كل تلك السنوات الضائعة روبرت...» قالت وهي تعانقه.

«انسيها - إنسيها تماماً» أمرها بلطف:

«لقد ذهبت ومضت والتحسر على ما مضى قد يحرمنا من السعادة القادمة لتلفنا بذراعيها، إنسيها

ناتالي، اخرجيها من عقلك وروحك. لقد نجحنا في النهاية وهذا هو كل ما يهم. انظري إلى جيمي وإلى السعادة التي تقفز من عيونه لرؤيتنا معاً. سنعوض كل ما فات وستكون أيامنا القادمة أيام حب وسعادة و...»

كانت هي من رفعت شفاهها إليه هذه المرة واخبرته قبلتها أنها فعلاً قد نست كل ما حدث وحين إقترب جيمي منهما مهمهماً ولسان حاله يقول:

«احم، نحن هنا».

ضحك روبرت وناتالي وعانقاه سوياً بسعادة وعيون الجميع ترمقهم بإبتسام وبالذات عيون العمة سابرين التي كانت تبكي بسعادة لرؤيتها أخيراً للحب يرفرف على الثلاثة الأحب إلى قلبها ناتالي وجيمي وروبرت ستابلتون.